

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المسلمون

في الاقطار غير الاسلامية

• الجاليات والمؤسسات الإسلامية ودورها في إبراز صورة الإسلام

• مسلمو الغرب والعالم الإسلامي

الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري

المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

(إبسيكو)

توحيدي، عبدالعزيز
المسلمون في الاقطار غير الاسلامية: الجاليات والمؤسسات الاسلامية ودورها في ابراز صورة
الاسلام، مسلمو العرب والعالم الاسلامي / عبدالعزيز بن عثمان الوحيدي. -- قرآن:
الجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ، ١٤٢٧ق. = ٢٠٠٦م. = ١٣٨٤ هـ .
١٠٣ ص.

ISBN: 964-8889-14-7

فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فييا.
عربي.

كتابنامه به صورت زيرونويس.

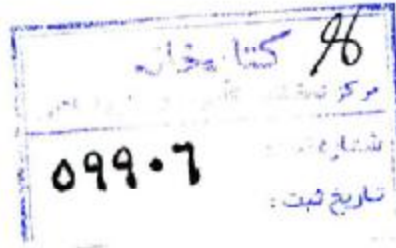
١. مسلمانان -- كشورهاي غير اسلامي. ٢. مسلمانان -- كشورهاي غير
اسلامي -- فعاليتهاى سياسى. ٣. اسلام و غرب. ٤. مسلمانان -- همگون
سازى فرهنگى. ٥. اقليتها -- كشورهاي غير اسلامي. ٦. مهاجران --
كشورهاي غير اسلامي. الف. مجمع جهاني تقريبن مذاهب اسلامي. معاونت
فرهنگى. ب. عنوان.

٢٩٧/٩١٦

م ٥٩/٦/١٢ BP

کتابخانه ملی ایران

م ٨٢-٢٥٩٩٣



الجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية

اسم الكتاب: المسلمون في الاقطار غير الاسلامية

المؤلف: الدكتور عبدالعزيز بن عثمان الوحيدي

الناشر: الجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية - المعارية الثقافية

الطبعة: الاولى - ١٤٢٧ هـ. ق. ٢٠٠٦ م

الكمية: ١٠٠٠ نسخة

السعر: ٥٠٠٠ ريال

شابك: ٧-١٤-٨٨٨٩-٩٦٤-١٤-٧-٩٦٤-٨٨٨٩-١٤-٧-٩٦٤ ISBN: 964-8889-14-7

العنوان: الجمهورية الاسلامية في ايران / طهران

ص. ب. : ٦٩٩٥-١٥٨٧٥

تلفكس: ٤-٨٨٣٢١٤١١-٢١-٠٠٩٨

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الجالليات والمؤسسات الاسلامية ودورها في ابراز صورة الاسلام	
مقدمة الطبعة الثانية	٧
المقدمة الانجليزية	٩
المقدمة الفرنسية	١٠
مقدمة الطبعة الاولى	١١
المدخل	١٣
مفهوم الأقليات والجالليات الإسلامية	١٧
اوضاع الأقليات والجالليات الإسلامية	٢٢
سبل الاستفادة من الرصيد الثقافي للأقليات والجالليات الاسلامية	٢٧
علاقة الأقليات والجالليات الإسلامية بالمحيط المحلي	٣١
دور العلاقات الثقافية في تفعيل حضور الأقليات والجالليات الإسلامية	٣٧
مفهوم المؤسسة الإسلامية	٤١
واقع المؤسسات الإسلامية	٤٣

العلاقة بين الجاليات الإسلامية ومؤسسات العمل الإسلامي المشترك ٤٩

أوضاع الجاليات الإسلامية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٥٥

مسلمو الغرب والعالم الإسلامي

مقدمة الطبعة الثانية ٥٧

المقدمة الانجليزية ٥٩

المقدمة الفرنسية ٦٠

مقدمة الطبعة الأولى ٦١

كلمة في المنهج ٦٣

الخلفيات التاريخية ٦٥

الوجود الإسلامي في الغرب أقلييات وجاليات ٧١

مسلمو الغرب في إطار العمل الإسلامي الدولي ٨٧

الجلس الأعلى للتربية والثقافة في الغرب ٩٥

مسلمو الغرب بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ١٠١

الجاليات والمؤسسات الإسلامية ودورها في إبراز صورة الإسلام

مقدمة الطبعة الثانية

تشكل اوضاع الجاليات والاقليات الاسلامية في الاقطار غير الاسلامية عنصرا مهما في المتغيرات الدولية التي يشهدها العالم اليوم. فلقد كان لاحداث الشغب التي وقعت في بعض المدن الاوروبية في الفترة الاخيرة، تأثير سيء على المسلمين المقيمين في الغرب، كما كانت للاحداث الارهابية التي وقعت في مدينتي نيويورك وواشنطن في الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م، التأثير الأقوى في الحاق الضرر بقطاع واسع من المجتمعات الاسلامية في الغرب، والمساس بحقوقها السياسية والمدنية والثقافية والاجتماعية، والامعان في تشويه صورة الاسلام، والايغال في تليفق التهم الباطلة ضد الاسلام عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وامة.

ولقد تزايد الاهتمام باوضاع الجاليات والاقليات الاسلامية خلال الفترة الاخيرة من مختلف الجوانب، سواء من جانب الهيئات والمؤسسات والمنظمات الاسلامية المعنية بحكم اختصاصاتها،

بقضايا الاسلام والمسلمين في العالم، أو من جانب الدوائر الاجنبية المهتمة بالجاليات والاقليات المقيمة في الدول الغربية لاهداف تخدم مصالح تلك الدول.

وفي هذا الاطار نشرت دراسة بعنوان: «الجاليات والمؤسسات الاسلامية ودورها في ابراز صورة الاسلام»، صدرت في كتاب باللغات الثلاث، العربية والانجليزية والفرنسية في سنة ٢٠٠٣م، كان له رواج في الاوساط المهتمة، وتلقته دوائر كثيرة بالاهتمام والقبول، سواء في العالم الاسلامي، أو في البلدان الغربية.

ويسعدني أن تصدر الطبعة الثانية من هذا الكتاب بعناية المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي للوحدة الاسلامية هذه السنة ٢٠٠٦م، تحت عنوان: «المسلمون في الأقطار غير الإسلامية: حقوقهم، واجباتهم، مشاكلهم وحلولها».

وإذ اشكر للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية كريم اهتمامه، وأقدر لسماحة أمينه العام آية الله الشيخ محمدعلي التسخيري ثقته وحسن ظنه، أسأل الله تعالى ان ينفع بهذا الكتاب، وان يحقق للأمة الإسلامية اهدافها في الوحدة والتضامن والتآزر، وينشر الأمن والسلام والوئام بين الأسرة الإنسانية في جميع أنحاء العالم.

د. عبدالعزيز بن عثمان التويجري

المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

Introduction of the second edition

The situation of Islamic communities and minorities in non-Islamic countries is a major component of the latest international changes witnessed by today's world. The riots that recently took place in some European cities have negatively affected Muslims living in the West. Yet the strongest impact was left by the 9/11 terrorist acts in New York and Washington. Muslim communities in the West have been widely affected by those acts; their political, civil, cultural and social rights have been infringed. Worse still, the distortion of the image of Islam and the levelling of groundless accusations against the Islamic faith, culture, civilization and Ummah continue unabated.

Recently, there is a growing interest in the situation of Islamic communities and minorities in all aspects. Such an interest is seen both among the competent Islamic bodies, institutions and organizations concerned with the issues of Islam and Muslims in the world, as well as among foreign circles dealing with questions pertaining to Islamic communities and minorities in western countries in the service of these countries' interests.

In this respect, I published a study entitled "**Role of Muslim Communities and Islamic Institutions in Highlighting the Image of Islam**" in one book in Arabic, English and French, in 2003. The book has been welcomed with vivid interest in many circles, both in the Islamic world and in western countries.

It is a pleasure to me that the second edition is published by the *World Academy for Bringing Muslim Madhahib Closer Together*, on the occasion of the convening of the International Conference on Islamic Unity in 2006 on the theme "**Muslims in non-Islamic countries: their rights, duties, problems and solutions thereto**".

Thanking the *World Academy for Bringing Muslim Madhahib Closer Together* for its kind interest, and appreciating the trust and good intentions of its Secretary General, His Eminence Ayatollah Sheikh Mohammad Ali Al-Taskhiri, I beseech Allah the Almighty that this book be of practical use in achieving the Islamic Ummah's objectives in unity and solidarity and bringing security, peace and concord among the mankind all over the world.

Dr. Abdulaziz Othman Altwaijri
Director General of the Islamic Educational,
Scientific and Cultural Organization.

Introduction de la 2^{ème} édition

On entend par « musulmans d'Occident » les musulmans établis dans les pays non-islamiques, à l'Est comme à l'Ouest. Mais on les appelle ainsi car, le terme « occident » renvoie, selon l'usage, à l'espace géographique situé en dehors du monde islamique sans autre précision. Estimés à des dizaines de millions, ces musulmans, établis en Europe, aux Amériques, en Asie et en Afrique, sont naturellement partie intégrante de la Oumma islamique et, partant, appartiennent au monde islamique suivant le sens que l'on donne à ce terme. Ils constituent des communautés islamiques dont les problèmes diffèrent, à bien des égards, des problèmes communs aux musulmans dans leur pays d'origine. D'où la nécessité d'aborder leurs questions avec lucidité en essayant de bien comprendre leurs conditions de vie en portant un regard global sur le contexte international avec tous les problèmes qu'il pose.

La question des musulmans d'Occident, en général, figure parmi les sujets qui m'ont préoccupé ces derniers temps, m'incitant à la réflexion, à la recherche d'informations et à la lecture de nombreux ouvrages, études et rapports traitant de cette question. Les musulmans d'Occident est un thème qui m'a interpellé, eu égard aux responsabilités que j'assume et au fait que le monde vit aujourd'hui au rythme d'événements intenses dont les musulmans font partie, et ce pour les raisons que j'ai détaillées dans la présente étude. Publiée en 2005 dans un même ouvrage en langues arabe, française et anglaise, elle a été bien reçue par les milieux intéressés et fait l'objet d'un vif intérêt aussi bien dans le monde islamique que dans les pays occidentaux.

A cet égard, l'Académie mondiale pour le Rapprochement des Madhahib islamiques m'a très aimablement sollicité en vue de publier une seconde édition de cet ouvrage à l'occasion de la tenue, en 2006, de la Conférence internationale sur l'unité islamique sous le thème « Les musulmans dans les pays non islamiques : leurs droits, leurs devoirs, leurs problèmes et leurs solutions ».

En remerciant l'Académie mondiale pour le Rapprochement des Madhahib islamiques de son intérêt et Son honorable Secrétaire général, Ayatollah Cheikh Mohamed Ali Taskhiri, de sa confiance, je prie le Tout-puissant de faire du présent ouvrage une œuvre édifiante, de guider la Oumma islamique dans sa marche vers l'unité, la solidarité et l'entraide et d'instaurer la paix et l'entente au sein de la famille humaine dans le monde entier.

**Dr Abdulaziz Othman Altwaijri,
Directeur général de l'Organisation
islamique pour l'Education, les
Sciences et la Culture -ISESCO-**

مقدمة الطبعة الاولى

تشكّل الجاليات والأقليات الإسلامية المقيمة في شتى أقطار الأرض، جزءاً لا يتجزأ من العالم الإسلامي، باعتبار أن الأمة الإسلامية جمعاء، إنما تمثّل مجموع المسلمين في أي مكان من العالم، وأن العالم الإسلامي بمفهومه العام، هو الإطار الشامل الجامع الذي ينتظم أمة الإسلام قاطبة.

وتمثّل الجاليات والأقليات الإسلامية المنتشرة في جميع بقاع العالم دون استثناء، نسبة مرتفعة جداً من تعداد المسلمين في العالم، وهي نسبة تكاد تصل إلى النصف من التعداد الإجمالي للمسلمين. ولذلك، فإن الدور الذي تنهض به الجاليات والأقليات الإسلامية، أو يمكن أن تنهض به، بالغ الأهمية، وعلى مستويات عديدة، وفي المقدمة منها، العمل على تصحيح صورة الإسلام، وشرح مبادئه وتعاليمه، والردّ، بالمناهج الحكيمة والأساليب الرشيدة، على الدعاوي المغرضة ودحض الشبهات والافتراءات، وتفنييد الأباطيل التي تروج ضد الدين الحنيف عقيدةً وشريعةً وحضارةً وثقافةً وتاريخاً.

ولقد اهتمت في هذه الدراسة ببحث الإمكانيات المتوافرة لدى الجاليات والأقليات الإسلامية، للقيام بدورها كاملاً، في مجال محدد، هو إبراز صورة الإسلام كما هي في وضوحها ونصاعتها

واشراققتها، وشرح مقاصد شريعته ومكارمها في عدالتها ونزاهتها وإنسانيتها.

وربطت في هذه الدراسة بين الجاليات وبين المؤسسات الإسلامية، ربطاً اقتضاه منهج البحث في أنجع الوسائل وأقوم السبل، لإبراز صورة الإسلام، ولتصحيح الصورة النمطية التي تروج لها بعض الدوائر في الغرب، عن الإسلام والمسلمين على نحو شامل، هو بعيد كل البعد، عن الموضوعية والأمانة والنزاهة.

ولقد انتهى بي البحث في هذه الدراسة، إلى تحديد العلاقة بين الجاليات الإسلامية وبين مؤسسات العمل الإسلامي المشترك، مركزاً على دور العلاقات الثقافية في تفعيل حضور الجاليات والأقليات الإسلامية في الأقطار التي تقيم فيها وتنتسب إليها.

وقدمت لذلك بتأصيل منهجي لمفهوم الجاليات والأقليات الإسلامية، ومدلول المؤسسة الإسلامية، ثم بحثت السبل المتاحة للاستفادة من الرصيد الثقافي للجاليات والأقليات الإسلامية. وانتهيت إلى النظر في أوضاع هذه الجاليات والأقليات بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وانعكاسات هذه الأحداث عليها.

أسأل الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير لأمتنا ولإنسانية جمعاء، وأن يلهمنا الحكمة والرشاد في القول والعمل.

د. عبدالعزيز بن عثمان التويجري

المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

مدخل

تتزايد الحاجة إلى إبراز حقائق الإسلام بالمنهج الصحيح وبالأسلوب السليم، ودحض الأباطيل التي يروجها خصومه، كلما اتسع نطاق الحملات العدائية الموجهة ضد الإسلام والمسلمين التي ينتهك القائمون عليها أحكام القانون الدولي وقواعد العدالة والإنصاف، ويسعون من خلالها في تاجيج نار الصراع بين الأديان والصدام بين الحضارات والعراك بين الثقافات، مما يهدد استقرار المجتمعات الإنسانية، ويخلق حالات دائمة من القلق والاضطراب تشيع جوا من الشك وسوء الظن وعدم الثقة بين الأمم والشعوب.

ومنذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، التي هزت العالم كله، والتي يرفضها ويشجبها كل ذي دين وعقل وضمير حي، والعالم الإسلامي يتعرض لحملات ظالمة مغرضة، توجه الاتهام جزافا إلى الإسلام والمسلمين، وتحرض المجتمع

الدولي ضد الشعوب والحكومات الإسلامية، وتعمل على إثارة روح العداة والكراهية، وتأييب الرأي العام العالمي ضد العالم الإسلامي كله.

وإن الموقف الذي تتخذه بعض الدوائر في الغرب إزاء الإسلام ديناً وثقافة وحضارة، وتجاه المسلمين شعوباً ودولاً وحكومات، يتفاقم خطره بصورة مطردة، ليس على العالم الإسلامي فحسب، وإنما على العالم كله، لأنه موقف عدائي، عنصري، مخالف للقانون الدولي، ومناهض لروح الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافات والمؤمنين بالأديان السماوية جميعاً، ومن شأنه أن يهدد الأمن والسلام الدوليين، ويزعزع استقرار المجتمع الدولي، ويتسبب في إيجاد التوتر في العلاقات الدولية، في الوقت الذي تمر فيه الإنسانية بمرحلة حرجة، تبحث فيها عن ملاذ أمين، وتنتقل إلى الخلاص من الهيمنة التي يفرضها النظام الدولي الجديد الذي يقوده القطب الأوحده المسيطر على السياسة الدولية، بغير سند من القانون الدولي، وتحدياً للشرعية الدولية.

وإزاء هذه المواقف المنطوية على تهديد الحضارة الإنسانية في الصميم، يتحمل العالم الإسلامي مسؤولية كبرى في التصدي لهذه الحملات، بالمنهج الإسلامي القويم، الذي يدعو

إلى السلام والتعايش والإخاء الإنساني، وينبذ العنف والإكراه، ويرفض الإرهاب بكل صورته وأشكاله، ويدينه ويعده إفسادا في الأرض وعدوانا على الإنسانية وعلى الحضارة.

إن النهوض بهذه المسؤولية ينطلق من منطلقات عديدة، من أهمها في رأينا، تقوية الذات بما يعني ذلك من تصحيح الأوضاع العامة في البلدان الإسلامية تصحيحا سليما يقوم على العلم والدراسة والتخطيط والاستفادة من تجارب الأمم وخبرات الدول المتقدمة صناعيا وعلميا وتقنيا، وتقويم المعوج من هذه الأوضاع، وترشيد السياسات المتبعة في المجالات جميعا، خصوصا في ميادين التربية والتعليم والعلوم والثقافة والاتصال، وتعزيز التضامن والتكامل والتعاون بين دول العالم الإسلامي، لاكتساب القوة والمناعة والقدرة على الدفاع عن الوجود وحماية المصالح والحفاظ على القيم والمقومات التي تشكل الأساس المتين للشخصية الإسلامية، وحجر الزاوية للكيان الإسلامي الكبير.

إن الأمة التي لا تمتلك شروط النهوض وأسباب التقدم وإمكانات التغيير من حال إلى آخر أفضل وأحسن وأرقى، تقصر وسائلها عن الدفاع عن حقوقها. ولذلك فإن صورة الإسلام تتمثل في الأمة الإسلامية، لأن العالم كله، ينظر إلى الإسلام من خلال واقع العالم الإسلامي.

وبناء على ذلك، فإن تصحيح صورة الإسلام، يبدأ من تصحيح صورة الأمة الإسلامية، ولا يتم ذلك، ولا يستقيم هذا التصحيح، إلا بتغيير حال الأمة وفقاً للمنهج الرشيد، وبالأسلوب القويم، وبالعلم والحكمة وسداد الرأي ومضاء العزيمة.

وعلى هذا الأساس، فإن إبراز صورة الإسلام للعالم، يجب أن ينطلق من تصحيح صورة الإسلام من الداخل. وتتفاوت درجات المسؤولية لإنجاز هذا المشروع الحضاري الإسلامي، من فئة إلى أخرى، ومن وسط إلى آخر، ولكننا في هذا العرض، سنحصر الحديث عن دور الجاليات والمؤسسات الإسلامية في إبراز صورة الإسلام، وسنمهد لذلك بتناول مفهوم الأقليات والجاليات الإسلامية، ثم نعرض لأوضاعها، قبل أن نبحت سبل الاستفادة مما لديها من رصيد ثقافي يتمثل في الإمكانيات والوسائل والفرص المتاحة لها، وننظر على ضوء ذلك، في علاقاتها بالمحيط المحلي، ثم نخلص إلى تحليل أبعاد الدور الذي يمكن للأقليات والجاليات الإسلامية القيام به لإبراز صورة الإسلام في المجتمعات التي تعيش فيها بما يخدم المصلحة الإسلامية في المقام الأول، ورسالة المؤسسات الإسلامية في هذا المجال في المحيط الذي تعمل فيه

مفهوم الأقليات والجاليات الإسلامية

نشأت ظاهرة الأقليات الإسلامية في العصر الحديث، مع تصاعد الهجرة من البلدان الإسلامية إلى مختلف أقطار الأرض، خلال العقد الأول من القرن العشرين في مستواها الأول، بينما برزت هذه الظاهرة في مستواها الثاني، مع نشوء الدول الحديثة في العديد من المناطق التي كانت تقع تحت حكم المسلمين، إلى أن قررت القوى الاستعمارية الأوروبية إعادة رسم الخريطة السياسية والجغرافية لهذه المناطق، بحيث يتضاءل نفوذ المسلمين ويتقلص حضورهم، ليصبحوا أقلية في المجتمعات التي كانوا يحكمونها إلى عهد قريب.

فمع نمو حركة انسياب الهجرة من العالم الإسلامي إلى شتى الأصقاع، وبخاصة إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، في أول العهد، ثم إلى أمريكا الجنوبية وكندا وأستراليا، نشأت ظاهرة الأقليات الإسلامية لأول مرة تقريبا في تاريخ الإسلام،

حيث وصل المسلمون إلى هذه الأقطار يحملون ثقافتهم وحضارتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ليجدوا أنفسهم وسط مجتمعات لها أديانها ولغاتها وثقافتها، ولها أنماط العيش وأساليب الحياة الخاصة بها والتي تختلف عما ألفوه ونشأوا عليه وعاشوا في كنفه في بلدانهم الأصلية.

ولقد كانت الأفواج الأولى من المهاجرين من العالم الإسلامي إلى البلدان غير الإسلامية، ذات خصائص متقاربة يغلب عليها الطابع الشعبي العام؛ إذ لم يكونوا من ذوي المستويات الثقافية العالية، في حين كان البحث عن موارد الرزق، هو أكبر دافع على هذه الهجرات الأولى التي نتج عنها ظهور تجمعات إسلامية تتوزع على رقعة جغرافية مترامية الأطراف، وهو الأمر الذي أدى إلى ذوبان معظم هؤلاء المهاجرين في المجتمعات الجديدة عليهم، بحيث لم يشعر بهم أحد، خاصة في العالم الإسلامي الذي كان في وضع بالغ الضعف من جراء عوامل عديدة، يكفي أن نذكر منها، أن معظم الأقطار الإسلامية، كان خاضعا عهدئذ، للاستعمار الغربي.

وبالتحول الذي حدث في العالم الإسلامي، وبخاصة مع انتهاء الحرب العالمية الثانية، حصل تغيير رئيس في تركيبة المهاجرين من البلدان الإسلامية إلى الغرب على وجه الخصوص، حيث أخذت أفواج المتعلمين والدارسين من ذوي الكفايات الثقافية والعلمية والمهارات المهنية المتميزة، تغلب على ظاهرة الهجرة المتصاعدة في اتجاه البلدان الأوروبية والأمريكية، مما أدى إلى ظهور أوضاع جديدة طبعت حياة التجمعات الإسلامية التي أخذت في البروز بصورة واضحة في العديد من الأقطار، فنشأت عنها مشكلات متنوعة، شعر المسلمون في المهجر بوظائفها الشديدة عليهم، فصاروا يتطلعون إلى إيجاد حلول لها، حتى تستقيم حياتهم، وينتهوا إلى التوافق والانسجام بين ثقافتهم وهويتهم، وبين المحيط الاجتماعي والبيئة الثقافية والمناخ الفكري العام الذي وجدوا أنفسهم يعيشون في خضمه.

وعلى مستوى آخر، فإن تأسيس الدولة الحديثة في بعض الأقطار التي كانت تحت هيمنة الاستعمار الأوروبي، تسبب في نشوء أوضاع سياسية فرضت على المسلمين في العديد من

المناطق، نتجت عنها حالة شديدة التعقيد تتمثل في أن مجتمعات إسلامية كثيرة انقلب وضعها من النفوذ والسيادة والأخذ بزمام الأمور، إلى الانعزال والتقوقع والانكماش وزوال السلطة، وبذلك نشأت أقليات إسلامية بقوة الأمر الواقع الذي فرضه المستعمر الأوروبي، فيما فرض من أوضاع أراد بها تحقيق مصالحه بعد رحيله من البلدان التي كان يحتلها احتلالا عسكريا مباشرا .

وبانتشار الإسلام في بقاع واسعة، سواء أكان ذلك بإقبال أهل الأديان والعقائد الأخرى على اعتناقه والدخول في دين الله أفواجا أو أفرادا، أم بوصول المسلمين إلى تلك البقاع واختلاطهم بشعوبها واندماجهم فيها، نشأت أقليات إسلامية ذات خاصيتين ثقافيتين اثنتين : أولاهما أن هذه الأقليات جماعات بشرية متجانسة نابعة من مجتمعاتها الأصلية، فهي بذلك تكتسب صفة الانتماء إلى الأوطان التي تعيش فيها، وثانيتها أن المعيار العددي لم يفقد هذه الأقليات حقوقها السياسية والمدنية في أوطانها، يسري هذا على المسلم من أهل البلد غير الإسلامي الذي اعتنق الإسلام حديثا، كما يسري

على المسلم الذي وفد على بلد الهجرة من الخارج، فاندماج في محيطه، واكتساب صفة المواطنة بحكم القانون. فهاتان الخاصيتان اللتان تمتاز بهما هذه الفئة من الأقليات الإسلامية، تجعلان الأوضاع التي يعيشها المسلمون في بعض الأقطار غير الإسلامية، ذات طبيعة مختلفة عن سائر الأوضاع التي تسود مجتمعات الأقليات الإسلامية في مختلف أنحاء الأرض.

ونستطيع أن نخلص من هذا التحليل، وبالاستناد إلى المعيار العددي، وبالاحتكام إلى المقتضيات القانونية والدستورية المتعارف عليها دولياً، إلى أن الأقليات الإسلامية، هي إحدى الفئات الثلاث التالية :

أولاً : رعايا دولة غير إسلامية، ينتسبون إلى هذه الدولة بالأصل والمواطنة، عليهم ما على مواطني تلك الدولة من حقوق وواجبات. وتمثل هذه الفئة النسبة العالية من الأقليات الإسلامية. (مثال مسلمي الهند، والصين، والفلبين، وروسيا الاتحادية، المقيمين في أوطانهم الأصلية). ويندرج تحت هذه الفئة أيضاً، مواطنو الدول غير الإسلامية الذين اعتنقوا

الإسلام في أوطانهم، فهم جزء لا يتجزأ من شعوبهم، ولا ينقص دخولهم في الإسلام شيئاً من مواظنتهم.

ثانياً : رعايا دولة إسلامية يقيمون في دولة غير إسلامية ويخضعون لمقتضيات القانون الدولي ولأحكام القانون المحلي. وتأتي هذه الفئة في الدرجة الثانية من حيث التعداد. (مثال المسلمين من دول منظمة المؤتمر الإسلامي المقيمين في شتى بلدان العالم).

ثالثاً : رعايا دولة غير إسلامية يقيمون في دولة أجنبية غير إسلامية، وتمثل هذه الفئة نسبة كبيرة من الجماعات والأقليات الإسلامية المقيمة في دول غربية وشرقية عديدة. ومن الواضح الجلي أن هذه الفروق التي نشير إليها هنا، إنما تخضع لمفهوم القانون الدولي، ولكن حينما يتعلق الأمر بالمفهوم الإسلامي للقضية في عمقها، فإن هذه الفروق تتلاشى بصورة تلقائية، إعمالاً لمبدأ الأخوة الإسلامية، طبقاً لقوله تعالى : {إنما المؤمنون إخوة} (الحجرات، الآية : ١٠).

أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية

ومن الطبيعي أن تختلف الأوضاع العامة للأقليات الإسلامية، من بلد إلى آخر، ومن قارة إلى أخرى. ولكن، وعلى الرغم من هذا الاختلاف القانوني والدستوري، فإن هناك قدرا مشتركا من التشابه فيما يجب القيام به تجاه هذه المجتمعات الإسلامية، من حيث العناية بشؤونها، والاهتمام بأحوالها، وتقديم الدعم الثقافي والتربوي والعلمي لها، ومساندتها في حماية هويتها وصون ذاتيتها الحضارية، ومن حيث المشكلات التي تعاني منها هذه الأقليات في الغالب الأعم، وما تستدعيه هذه المشكلات من حلول موضوعية، ومعالجة سليمة لها.

لقد كان التنبيه إلى وجوب الاهتمام بالأوضاع العامة للأقليات الإسلامية في العالم، جزءا من حركة اليقظة الشاملة التي سادت العالم الإسلامي منذ أن أخذت الشعوب الإسلامية تتحرر من قيود الاستعمار الأوروبي. ولقد تفاوتت

درجة هذا الاهتمام من مرحلة إلى أخرى، تبعا لخط تصاعد الاتجاهات العامة في العالم الإسلامي ونموها في مستوياتها السياسية والثقافية والفكرية، إلى أن صار الاهتمام بالأقليات الإسلامية، من صميم العمل الإسلامي المشترك في قنواته الرسمية والشعبية، من وجوه شتى، وتحت تأثير ضغوط المشكلات المتعددة التي بدأت تحاصر هذه الأقليات، لاسيما في العقود الأخيرة التي تصاعد فيها مد الموجات العنصرية والفكرية والثقافية والمذهبية والسياسية المعادية للإسلام عقيدة وثقافة وحضارة .

ولقد اكتسبت الأقليات الإسلامية في معظم البلدان الأوروبية والأمريكية بصفة خاصة، كيانا قانونيا يوفر لها إمكانات الاندماج في المجتمعات التي تعيش في وسطها على النحو الذي لا يفقدها خصوصياتها، ولا يؤثر في تركيبها الاجتماعية التي تستند إلى الهوية الثقافية الحضارية التي تتميز بها، بحيث صار اندماج هذه الأقليات في الحياة العامة للمجتمعات التي تعيش فيها، لا يتعارض مع صفة التمايز الحضاري الذي يطبع المجتمع الإسلامي في أية بقعة من

الأرض ينشأ ويتكون هذا المجتمع . وهو الأمر الذي يجعل هذه الأقليات في موقع القدرة على الحوار والتعايش مع جميع الفئات في مجتمعاتها، ويمكنها في الوقت نفسه، من التعامل المتكافئ مع الظروف المحيطة بها، ويقدر كبير من الاستقلالية في القرار، والحرية في التصرف.

إن العلاقات التي تقيمها الأقليات الإسلامية مع غير المسلمين في البيئات التي تعيش فيها، تنبع أولاً من خصوصية الثقافة الإسلامية التي تنفتح على الغير، وتتميز بالتسامح مع جميع أهل الأديان والعقائد والثقافات والحضارات، وتنزع نحو التعاون في إطار الأخوة الإنسانية التي تجمع بين البشر كافة، من دون اعتبار للاختلاف في المعتقد والمذهب، أو في العرق والجنس، وتقتضيها ثانياً، ضرورات التعايش الذي أصبح سمة العالم الجديد، وتخليها متطلبات الحياة في المجتمعات المعاصرة، وتفرضها المصلحة المؤكدة لهذه الجماعات الإسلامية الناشئة في غير البلاد الإسلامية. بل إن هذه العلاقات ترقى إلى مستوى أعلى من مجرد كونها ضرورات، لأن استمرار حياة الأقليات الإسلامية على النحو الذي يضمن

لها الاستقرار ويكفل لها المناخ الطبيعي السليم للرقى والتقدم، يتطلب إقامة أوثق علاقات التعاون مع جميع مكونات المجتمع الذي تعيش فيه هذه الأقليات، وعلى مختلف المستويات، وبما يحقق اندماجها الفاعل والمؤثر في المحيط العام على النطاق الواسع، وبالقدر الذي يجعلها طرفاً مشاركاً في الحياة العامة. وأياً كانت الظروف التي تكتنف كل فئة من الفئات التي تتكون منها الأقليات الإسلامية، فإنه مما لا شك فيه، أن العلاقات التي تقيمها هذه الأقليات مع غير المسلمين، هي المحك الذي يمحس سلامة الكيان الحضاري للمسلمين في غير ديار الإسلام؛ فبقدر ما تنتظم هذه العلاقات وتستقيم على النهج الصحيح وتقوم على القواعد السليمة، يتقوى استقرار الأقليات الإسلامية، ويتعاضد الدور الذي تؤديه في الحياة العامة، وتتزايد المكاسب التي تحققها والمنافع التي تجنيها.

سبل الاستفادة من الرصيد الثقافي للأقليات والجماليات الإسلامية

إن الرصيد الثقافي والحضاري الذي تمتلكه الأقليات الإسلامية في كل مكان، يمدّها بأسباب التواصل مع المجتمعات غير الإسلامية التي تتعايش معها، على شتى المستويات: فعلى المستوى الإنساني، يعتبر التسامح الحضاري القاعدة العامة التي يبني عليها المسلمون علاقاتهم بغير المسلمين، وهو تسامح يتطلق من الإيمان بوحدة الأصل الإنساني، وبالقيم والمثل العليا التي يدين بها البشرية في كل عصر من عصور التاريخ، وهي قيم الخير والعدل والفضيلة والعفة والصدق والأمانة والاستقامة والشجاعة والمروءة والنجدة. وعلى مستوى تبادل المصالح والمنافع والتعايش بمفهومه الشامل العميق، فإن المسلمين المتشبهين بتعاليم دينهم الحق، يعلمون جيدا أن العمل وجه من وجوه العبادة، وأن

السعي في الأرض تكليف رباني للإنسان، وأن نفع العباد مقصد شريف من مقاصد الشريعة الإسلامية، وأن درء المفسد مقدم على جلب المنافع، وأن التعاون على البر والتقوى والخير والمصلحة العامة، فريضة دينية، وأن اكتساب القوة وتحقيق الرقي وصنع التقدم والتفوق في العلم والتعمق في المعرفة، من مقتضيات الحياة الكريمة التي ينشدها الإنسان السوي في كل مكان وزمان.

أما على المستوى الثقافي العام، وعلى الصعيد الحضاري، فإن المسلمين حيثما كانوا، يسعون دائماً إلى التقارب مع أتباع الديانات والثقافات والحضارات، والتحاور معهم، ويجعلون هذا التقارب والتحاور في مقام الدعوة إلى الله التي أمر سبحانه وتعالى، أن تكون بالحكمة وبالموعظة الحسنة وبإتي هي أحسن، ويصدرون في سلوكهم هذا عن إيمان بالرسالة التي يحملونها، وبواجب تبليغها إلى الناس كافة، وبأنهم دعاة هداية ربانية، وحضارة بانية، وثقافة هادفة.

وحيثما تجمع المسلمون خارج دول العالم الإسلامي، سواء أكانوا جالية تقيم بصفة مؤقتة، أم أقلية مستوطنة، أم أقلية

مواطنة، فإن القيم والمبادئ التي يؤمنون بها تشع من حولهم، وتترك أثرها في تعاملهم مع من يعيشون معهم، لأن هذه القيم بانية للعلاقات الإنسانية السليمة، ومؤسسة لمبادئ التعايش الحضاري الراقى.

بيد أن تأثير القيم الإسلامية في المحيط الاجتماعي الذي يشكل المسلمون فيه نسيجاً متناسقاً ومتربطاً، لا يأتي مفعوله الإيجابي، إلا إذا توفرت شروط موضوعية تتمثل في الإيمان والوعي بهذه القيم، وتشربها، وتمثلها، والعمل بمقتضاها، وهو الأمر الذي يقتضي القيام بمجهود مستمر في التوعية، والتربية، والتوجيه، على أكثر من مستوى، مما له علاقة بالرعاية المتكاملة في إطار الحرص على حماية الهوية الثقافية والذاتية الحضارية.

ولا شك أن الأقليات الإسلامية المقيمة في مختلف الأقطار، هي أحوج ما تكون إلى أن نتعهدنا بهذه الرعاية المتكاملة، تربوياً وثقافياً وأخلاقياً وفكرياً، حتى تبقى هذه الأقليات في منأى عن المؤثرات الضاغطة التي تهدد الوجود المعنوي في الصميم، وتضعف في الإنسان المناعة الثقافية

والأخلاقية، فيصبح فريسة الضياع والانحراف والتيه.

ولذلك فإن تأثير الأقليات الإسلامية في المجتمعات التي تعيش في محيطها، يتوقف على مدى سلامة الكيان الفكري والثقافي، وعلى المناعة الأخلاقية لهذه الأقليات؛ فكلما كانت الجماعات الإسلامية خارج بلدان العالم الإسلامي، متماسكة عقائدياً وأخلاقياً، وواعية برسالتها الحضارية، كان ذلك أقرب إلى التأثير الإيجابي المتحضر في البيئة والمحيط.

أما إذا ضعف هذا الكيان وتراخى بسبب غياب الوعي الديني الصحيح وانعدام التضامن القوي والعمل المنظم المتقن في إطار احترام القوانين السائدة والاستفادة منها، وغير ذلك من الأسباب، انعزل المسلمون عن مجرى الحياة، وانسحبوا من ميدان التدافع الحضاري، وانتهى أمرهم إلى التلاشي، فالانهايار، حيث تصبح الأقلية الإسلامية في هذه الحالة، عبئاً ثقيلاً على المجتمع الإسلامي الكبير، تسيء إلى الإسلام من حيث تدري أو لا تدري.

علاقة الأقليات والجماليات الإسلامية بالمحيط المحلي

من هذا المنظور، فإن علاقة الأقليات الإسلامية بغير المسلمين، ينبغي أن تقوم على أساس من القيم الإسلامية التي تصنع الفرد والجماعة، وتجعل من المسلم عضوا فاعلا ومؤثرا في دائرته القريبة، وفي محيطه الأشمل، وفي أي بيئة يعيش فيها، يتجاوب مع ما تعج به الحياة من أحوال وأحداث، ويتفاعل مع ما يسود المجتمع من أفكار وآراء ومواقف، ويستوعب كل ما يجري من حوله بعين فاحصة، وعقل مدبر، وفكر حصيف.

فإذا ارتقت الأقليات الإسلامية إلى هذا المستوى من التعامل والتجاوب والتحاور مع المجتمعات التي تعيش فيها،

كان لها حضور متميز في ميادين العمل العام، وكان لها تأثيرها الفاعل في ماجريات الأمور، وكان لها بعد ذلك كله، صوتها المسموع وذكرها المحمود.

وليست الأقليات الإسلامية سواء في مدى تعاملها مع غير المسلمين، وإنما هناك تفاوت في درجة هذا التعامل، وفي تأثيره، نتيجة اختلاف ظروف كل فئة من فئات الأقليات الإسلامية. ويترتب على هذا التفاوت، تعدد في مستويات تجاوب الأقليات الإسلامية مع مختلف طبقات المجتمع الذي تعيش فيه، مما ينعكس على العلاقة التي تقيمها هذه الأقليات مع غير المسلمين، سواء على المستوى السياسي، أو على المستوى الثقافي والإنساني العام.

وليس من شك أن العلاقات الثقافية لا تثمر النتائج المرغوب فيها، إلا إذا استندت إلى قاعدة راسخة من الاحترام المتبادل، ومن الثقة في دوافع كل طرف من الأطراف المنشئة لهذه العلاقات، ومن الإيمان بالأهداف المشتركة، والالتقاء

حولها، والافتناع بها، وجعلها محط كل اهتمام وموضع كل عناية، حتى تتحقق في الواقع المعيش.

ومن المؤكد أن الأقليات الإسلامية ستحقق لذاتها منافع جمة وفوائد كثيرة، إذا ما وفقت في إقامة علاقات ثقافية غنية ومثمرة مع جميع شرائح المجتمعات التي تندمج فيها وتتعايش معها، فمن شأن تقوية العلاقات الثقافية بين الأقليات الإسلامية، وبين غير المسلمين، أن تنشئ روابط إنسانية متينة ترسخ الوجود الإسلامي في الديار غير الإسلامية، وتساهم في إبراز الصورة الحقيقية للإسلام، وفي تصحيح ما يروج من مغالطات وافتراءات وأخطاء، عن الإسلام، من حيث هو عقيدة ودين وثقافة وحضارة.

إن إقامة علاقات ثقافية نشيطة وذات فعالية ومردود واقعي، على أي مستوى من المستويات، تتطلب انتهاج الطرق القانونية، وسلوك المنهج العلمي الذي يفضي إلى أقوم السبل المؤدية دائما إلى تحقيق الأهداف المتفق عليها.

ويقتضي هذا أن يرجع في إقامة هذه العلاقات، إلى القوانين المحلية، والتقييد بمقتضياتها، والالتزام بروحها ونصها، وذلك تجنباً لأي لبس أو غموض، وابتعاداً عن أية شبهة أو مظنة، وتوخياً لبلوغ الغايات الشريفة في قصد واعتدال.

إن الأقليات الإسلامية في العديد من المناطق والأقطار، تتوفر لها فرص كثيرة للعمل في هذا الميدان، خاصة الأقليات الإسلامية التي تعيش في الدول الأوروبية، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وفي كندا، وأستراليا، واليابان، وفي بعض دول أمريكا الجنوبية، حيث تتيح القوانين المحلية، الفرص المتعددة لإنشاء الجمعيات والهيئات والروابط التي تنظم علاقات الأقليات فيما بينها من جهة، وفيما بينها وبين جميع فئات المجتمع ومختلف شرائحه، من جهة ثانية، وحيث تكفل هذه القوانين للأقليات، الحق في ممارسة الشعائر الدينية، والقيام بالأنشطة الثقافية التي تخدم الأهداف التي ترغب في

تحقيقها، وتمهد أمامها السبل نحو تنمية علاقات التعاون مع مكونات المجتمع الذي تعيش فيه، بالقدر الذي يكفل لها حظوظا كبيرة لتطوير قدراتها، ولتقوية كيانها، ولإحكام علاقتها بمن تشاء من الفئات والطوائف، من مختلف المشارب والمذاهب والاتجاهات.

أما الأقليات الإسلامية التي تعيش في أوطانها، كحالاتي مسلمي الهند والصين، على سبيل المثال لا الحصر، فإنها في حاجة ماسة إلى تنظيم نفسها بالشكل القانوني الذي يضمن لها العمل على تنمية ذاتيتها، وإقامة علاقات ثقافية مع المحيط الذي تعيش فيه، من أجل أن تحافظ على هويتها الثقافية التي من أقوى مقوماتها وأهمها على الإطلاق، عقيدتها الدينية.

وليس بخاف أن الأقليات الإسلامية في هذه البلدان، لا تجد المناخ المناسب في معظم الأحوال، للتحرك في هذا الاتجاه. وهنا يتعين على المنظمات والهيئات الإسلامية الرسمية

والشعبية، أن تقوم بواجبها تجاه الأقليات الإسلامية التي تعيش في أوطانها محرومة، أو مضطهدة، أو واقعة تحت ضغوط مختلفة المصادر. ومن أوجب واجبات البلدان الإسلامية أن تتضافر جهودها في تقديم الدعم المادي والأدبي لهذه الأقليات، وأن تقوي صلاتها بها، وأن تشعرها دائما بأنها جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية، تتجاوب معها، وتساندها وتدعمها.

دور العلاقات الثقافية في تفعيل حضور الأقليات والجاليات الإسلامية

العلاقات الثقافية التي تنظمها الأقليات والجاليات الإسلامية في البلدان التي تعيش فيها، تشكل في جوهرها، رصيذا للأمة الإسلامية، يمكن استثماره في التعامل الذكي مع حكومات هذه الدول ومع منظماتها الرسمية والشعبية، من أجل تحسين أوضاع المسلمين فيها، في إطار العلاقات الدبلوماسية القائمة بينها وبين بلدان العالم الإسلامي.

وفي كل الأحوال، فإن العلاقات الثقافية التي تقيمها الأقليات الإسلامية في مختلف المهاجر، سواء في الشرق أو الغرب، في الشمال أو في الجنوب، يمكن استثمارها لدعم الوجود الإسلامي في هذه الأقطار، بشتى الأساليب والطرق التي يكفلها القانون الدولي، وذلك من أجل تصحيح صورة الإسلام التي تتعرض للتشويه، وتبليغ الرسالة الإسلامية إلى العالم، بلغة

مفهومة، ويمنطق مقنع، وبأسلوب جذاب، من دون إخلال بجوهر العقيدة، أو بأصل من أصول الدين الحنيف، ومن دون بخس حق من حقوق المسلمين. ويتطلب هذا الأمر حسن التصرف، والفهم الرشيد لمقتضيات العمل الثقافي في قنواته الدولية، مع الوعي المتفتح بمتطلبات التحرك في هذه الميادين الحيوية.

وتتسع القنوات التي يوفرها العمل الدولي في المجال الثقافي، للعلاقات الثقافية بين الجاليات والأقليات الإسلامية وبين غير المسلمين على العديد من الأصعدة؛ فعن طريق هذه القنوات، يمكن أن يقيم المسلمون، خاصة في المهجر، علاقات تعاون نشيطة إذا عرفوا كيف يستثمرونها ويوظفونها التوظيف الجيد المدروس والمنتقن، أمكن لهم أن يحققوا مكاسب كثيرة تنفعهم في حياتهم حيث هم، وتنفع العالم الإسلامي بأسره والمسلمين كافة في كل مكان، ذلك أن الحضور الفاعل والمؤثر للمسلمين في البلدان غير الإسلامية، يوفر فرصا كثيرة لهم لخدمة قضايا العالم الإسلامي، وللعمل الجدي الهادف من أجل إبراز صورة الإسلام والتعريف بحقائقه ودحض

الشبهات وتصحيح الأخطاء والمغالطات التي تنتشر وتذاع ويتقبلها الناس في المجتمعات الغربية باعتبارها حقائق، وذلك على مستويين اثنين :

أولهما : المستوى الفردي الذي يتجسد في السلوك الشخصي الملتزم بأخلاقيات الإسلام التي تحث على حسن المعاشرة، والتعايش مع الناس جميعا، والاندماج في المحيط الاجتماعي، والسعي في نفع المجتمع والإخلاص في خدمته، بحيث يعطي الفرد المسلم في المحيط الذي يعيش فيه، القدوة والمثال للشخصية الإسلامية النافعة للمجتمع، بتصرفاته، وبأنماط سلوكه، وبمعاملاته، بالأنشطة التي يقوم بها.

ثانيهما : المستوى الجماعي الذي يتمثل في إقامة علاقة تعاون جماعي في إطار القوانين والأنظمة المحلية لخدمة أهداف سامية، في المقدمة منها الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة بكل ما في ذلك من معان ودلالات، ودون إخلال بواجب الانضباط في السلوك واحترام القوانين والأنظمة، وذلك في شكل تأسيس الجمعيات، والأندية، والروابط، والهيئات، والمراكز الثقافية، وإصدار النشرات

الإعلامية، وربط الصلة بوسائل الإعلام وبالدوائر ذات التأثير في الرأي العام المحلي والعالمي، وبمشاركة المجتمع الذي يعيش فيه، في كل شأن من شؤونه العامة، بحيث يندمج المسلمون، سواء أكانوا من المهاجرين أم من المقيمين أم من السكان الأصليين ممن اهتموا إلى الإسلام، في المحيط العام سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وفكريا .

إن الدور الذي يمكن أن تقوم به الجاليات والأقليات الإسلامية في خدمة الأهداف العليا للعالم الإسلامي، وفي المقدمة منها، إبراز صورة الإسلام، وتصحيح الأخطاء ودحض الشبهات التي تنشر عن الإسلام والمسلمين، من الأهمية بمكان. وتتعاظم أهمية هذا الدور، إذا تعزز بدعم المؤسسات الإسلامية له، خاصة تلك التي تعمل في إطار العمل الإسلامي المشترك. ومن أجل بيان تأثير هذا الدور وأهميته في دعم أهداف العمل الإسلامي المشترك، نعرض فيما يلي لمفهوم المؤسسة الإسلامية، ثم نواقع المؤسسات الإسلامية، قبل أن نتناول العلاقة بين الجاليات والأقليات وبين مؤسسات العمل الإسلامي المشترك.

مفهوم المؤسسة الإسلامية

يندرج تحت مفهوم (المؤسسة الإسلامية)، كل جهاز يقوم على قواعد إدارية وهيكلية تنظيمية، يهدف إلى خدمة القضايا والشؤون الإسلامية في أحد حقول العمل الإسلامي، سواء أكان هذا الجهاز منظمة، أم مؤسسة، أم جمعية، أم وكالة، أم هيئة. ويشمل مفهوم (المؤسسة الإسلامية)، على مستوى ثان، الجامعات، والمعاهد، والمدارس التي تختص بالدراسات الإسلامية وتجعل من خدمة الثقافة الإسلامية المهمة الرئيسة لها.

والمؤسسات الإسلامية التي تدرج تحت المستوى الأول، تجربة حديثة العهد نسبياً في العالم الإسلامي، بحكم أن تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي، قد تم في عام ١٩٦٩ م، وأن معظم المؤسسات التي تعمل في إطار هذه المنظمة، قد أنشئت بعد ذلك. أما المؤسسات التي أنشئت قبل سنة ١٩٦٩ م، فهي على قسمين: قسم حكومي، وقسم أهلي، فمن القسم الأول على سبيل المثال، مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف في القاهرة، ومن القسم الثاني رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

وهذا المفهوم وظيفي أكثر منه وصفي ومنطقي، لأن في الأصل، ومن حيث المبدأ، كل ما يؤسس في المجتمع الإسلامي، يجب أن يقوم على قواعد إسلامية، ويرمي إلى أهداف إسلامية، فيكون إسلامي المنطلق والمحتوى والمقصد. وبالتالي، فإن المؤسسات التي تنشأ في البلدان الإسلامية، يجب - شرعا وعقلا - أن تصطبغ بالصبغة الإسلامية، فتكون تبعا لذلك مؤسسات إسلامية.

هذا من حيث المبدأ وأصل الأشياء وجوهر الأمور، غير أن لظروف ولعوامل ولأسباب يطول شرحها، أصبح من المعتاد، ومن المصطلح عليه، بل من المتعارف عليه، أن تحمل اسم (المؤسسة الإسلامية) تلك المؤسسة التي تعنى بالشؤون الإسلامية، وتهتم بالقضايا الإسلامية، وتختص بكل ما له صلة بالعمل للإسلام عقيدة ودعوة وثقافة وحضارة وتراثا. وبذلك صارت كل مؤسسة لا تعمل في هذه الدائرة، هي مؤسسة إسلامية، وفقا لهذا المفهوم الذي على أساسه نتعامل مع المؤسسات الإسلامية بصفاتها المبدئية والوظيفية معا. وعلى كل حال، فإن المفهوم الوظيفي للمؤسسات الإسلامية يجعل منها الهيئات التي تنهض بمسؤوليات العمل الإسلامي، كل في حقل تخصصه، وفي الإطار الذي وضع له، وطبقا للمبادئ والأسس والأهداف التي حددت له^(١).

(١) تأملات في قضايا معاصرة، فصل (الدراسات المستقبلية في مجال تطوير المؤسسات الإسلامية: أهميتها وفائدتها)، ص: ١٩٣، الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢ م.

واقع المؤسسات الإسلامية

إن من مقتضيات المنهج السليم في دراسة حالة ما، أو تحليل وضع من الأوضاع، ربط تلك الحالة وذلك الوضع بالمحيط العام في جوانبه المتعددة. ولذلك فإن المؤسسات الإسلامية يندر أن تخرج عن هذه القاعدة المطردة، فهذه المؤسسات جزء لا يتجزأ من الأوضاع العامة، وهي من صميم الواقع في العالم الإسلامي، متأثرة به، وخاضعة له، ومتجاوبة معه، لا سبيل لها إلى أن تنفصل عنه، فهي تقوى ويشتد عودها بقدر ما تسرى القوة والصحة والحيوية في الكيان الإسلامي كله، والعكس صحيح. فهذه المؤسسات إذن، تعبر تعبيراً يتفاوت من مؤسسة إلى أخرى، عن طبيعة المجتمع الذي تعيش فيه، كما تعبر عن محصلة الأوضاع التي يعيشها العالم الإسلامي.

ولكن لهذه القاعدة استثناء نجده ملموساً في طائفة من

المؤسسات الإسلامية التي استطاعت أن تتغلب على الظروف المحيطة بها، وأن تتجاوز الصعوبات، وأن ترتقي إلى مستوى من النجاح يشهد لها بالإدارة الجيدة، وبالأداء الراقى، وبالتأثير الإيجابي والفاعل الذي تحدثه في المحيط الذي تعمل فيه. فليست كل المؤسسات الإسلامية على شاكله واحدة، ولكنها تختلف من محيط إلى آخر، ومن ظرف إلى آخر، ويتفاوت أدائها من إدارة إلى أخرى.

ومن هذه الزاوية، ننظر إلى المؤسسات الإسلامية، فنراها على مستويين اثنين :

المستوى الأول : مؤسسات إسلامية ذات الطابع العام، سواء أكانت تعمل في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، أم تدخل في إطار المؤسسات الحكومية المرتبطة بالسياسات التي تضعها الدول وتبناها، على تنوع هذه المؤسسات وتعددتها، بحيث تشمل المنظمات، والهيئات، والوكالات، والجامعات، والمعاهد، والجمعيات، والجامع. ويكاد يكون القاسم المشترك بين هذه المؤسسات هو ضعف الموارد المالية الذي يؤدي إلى ضعف في الموارد البشرية، كما يؤدي إلى محدودية التأثير في المحيطين

المحلي والإقليمي، والإسلامي العام، وهو الأمر الذي يترتب عليه قصور ملحوظ في تحقيق الأهداف المرسومة، سواء عند التأسيس، أو تلك الأهداف التي ترسمها الهيئات العليا المشرفة على هذه المؤسسات، في اجتماعاتها الدورية، كالمؤتمرات العامة، والمجالس التنفيذية، ومجالس الأمناء، ... الخ، مما يتسبب في خلق حالة من عدم الثقة الكاملة في قدرة العديد من هذه المؤسسات على الوفاء بالمهام المناطة بها.

المستوى الثاني : المؤسسات الإسلامية الأهلية، وهي التي

يعبر عنها (بالمؤسسات الإسلامية الشعبية)، على ما في هذا التعبير من خلل منهجي ؛ لأنه في الواقع، كل مؤسسة إسلامية شعبية، باعتبار أن النشاط الذي تقوم به موجه إلى الشعب، إن لم يكن موجها في الأساس، إلى الشعوب الإسلامية كافة. وتخضع هذه المؤسسات في الجملة لعدة ضغوط، يأتي في مقدمتها شح متزايد في الموارد المالية، ووقوع بعضها تحت تأثير الجهات المانحة التي قد لا تكون دائما متجاوية تجاوبا كاملا، مع الأهداف التي أنشئت هذه المؤسسات للعمل من أجلها، مما يؤدي في بعض الأحيان، إلى الانحراف - الذي يكبر أو يصغر -

عن الخط المرسوم، ويتم ذلك على حساب مصداقية العمل الإسلامي، مما يؤدي بالتالي، إلى نتائج سلبية تؤثر في مسار العمل الإسلامي، بدرجة أو بأخرى.

وهناك في بعض الحالات، قدر من التداخل بين المستويين، بحيث تنعدم الفوارق بينهما، بمعنى أن العوامل التي تؤثر في المؤسسات الإسلامية في المستوى الأول، تكون هي العوامل ذاتها التي تؤثر في مؤسسات المستوى الثاني.

ولكن على الرغم من ذلك، فإن لكل مستوى ظروفًا تكتنفه، ومناخًا يسود فيه، ومواصفات تختص به.

ولقد تضافرت عوامل كثيرة على صعيد العالم الإسلامي، أدت إلى نشوء الوضع الراهن الذي تعيشه المؤسسات الإسلامية، منها الظروف التي مرت بها البلدان الإسلامية طوال العقود الأخيرة، سياسيا واقتصاديا، اجتماعيا وثقافيا، مما كان له التأثير القوي - إيجابيا وسلبيا - على مجمل الأنشطة التي يقوم بها العمل الإسلامي المشترك، وهو الأمر الذي انعكس على هذه المؤسسات، فنال من مصداقية بعضها، وأضعف مردودية بعضها الآخر، وحتى المؤسسات التي

استطاعت أن تتغلب على هذه العوامل وتتجاوزها، لحقت بها آثار من المناخ السائد في المحيط الذي تتحرك داخله.

ومن العوامل التي تسبب في إضعاف المؤسسات الإسلامية في غالبيتها، إضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه، تكالب القوى المناهضة للإسلام وللأمة الإسلامية، وتآمرها، وكيدها، وإجماعها على النيل من هذا الدين القيم، وتمزيق صف المسلمين، وتشتيت جهودهم، وعرقلة كل مسعى يرمي إلى تضامنهم ووحدتهم واجتماع أمرهم على ما ينفع الأمة ويمكن في الأرض.

ولكننا لا نرد قصور بعض المؤسسات الإسلامية وضعفها إلى العوامل الخارجية على وجه الإطلاق، وإنما نقول بوجود قدر من التأثير الخارجي في نشوء هذه الظاهرة، وإن المسلمين يتحملون نصيبهم من المسؤولية في كل الأحوال.

ويمكن القول إن نجاح بعض المؤسسات الإسلامية في القيام بدورها المرسوم لها، هو في حد ذاته، ظاهرة من الظواهر الصحية التي تسود العالم الإسلامي، إذ أنه ليس من المنهج السديد الحكم بصورة إجمالية، على المؤسسات الإسلامية

جميعاً، لأن من بينها المؤسسة الناجحة في أداء رسالتها، والمتعثرة في إنجاز مهمتها، ومن بينها أيضاً، المؤسسات التي يتراوح عملها بين النجاح والإخفاق، لسبب من الأسباب. ولكن، وبصورة عامة، يمكن لنا أن نسجل في هذا المقام، أن نسبة النجاح في أداء المؤسسات الإسلامية لوظائفها، لا تتناسب مع مستوى الأهداف المخطط لها، ولا تستجيب للأمال المعلقة عليها منذ إنشائها وإلى اليوم^(١).

(١) تأملات في قضايا معاصرة، الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، ص

العلاقة بين الجاليات الإسلامية ومؤسسات العمل الإسلامي المشترك

تعد العلاقات الثقافية في إطار المنظمات الدولية والإقليمية، من أقوى الوسائل للتعاون فيما فيه المصالح المشتركة للشعوب. ويتوجب على الأقليات الإسلامية حيثما كانت، أن تشارك مؤسساتها الثقافية والتربوية والاجتماعية في أعمال هذه المنظمات والهيئات الدولية، وأن تستفيد من الفرص التي تتيحها في إقامة شبكة من العلاقات الثقافية المنتجة التي تصب في اتجاه خدمة مصالحها.

وتقع على منظمات العالم الإسلامي ومؤسساته المعنية بالعمل الثقافي العام، مسؤولية كبيرة في هذا المجال الهام، إذ أن الأقليات الإسلامية في حاجة شديدة إلى أن تقف هذه

المنظمات إلى جانبها، وتدعمها، وتقدم لها الخدمات التربوية والعلمية والثقافية، وتوفر لها المساندة والمؤازرة في كل الأحوال، لأن نجاح هذه الأقليات في حماية هويتها، وفي الدفاع عن حقوقها ومصالحها، يخدم في نهاية المطاف، المصالح العليا للعالم الإسلامي.

وسأعرض في هذا المقام، تجربة متميزة للعمل الإسلامي المشترك في إطار المنظمات والمؤسسات الإسلامية الموجهة للجاليات والأقليات الإسلامية، تتمثل في الإنجاز الذي حققته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في مجال الاهتمام المخطط والمدرّوس بشأن الحضور الإسلامي في الغرب.

لقد تأسست المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في عام ١٩٨٢، وأولت اهتماما مركزا بقضايا الجاليات والأقليات الإسلامية في الغرب منذ انطلاقتها الأولى.

ويتمثل هذا الإنجاز في (استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب) التي اعتمدها مؤتمر القمة الإسلامي

التاسع المنعقد في الدوحة في شهر نوفمبر عام ٢٠٠٠.

ولقد حرصت المنظمة الإسلامية على وضع هذه الاستراتيجية للعمل الثقافي الإسلامي للجاليات الإسلامية في الغرب، ساعية إلى تحقيق الأهداف الرئيسية التالية :

(أ) تأكيد دور الثقافة في حماية الهوية الحضارية للجاليات والأقليات الإسلامية.

(ب) تقريب الرؤى وتوحيد مناهج العمل وتوطيد جسور التعاون بين العاملين في حقل العمل الثقافي الإسلامي في الغرب .

(ج) تصحيح المفاهيم وتحديد المصطلحات.

(د) إيجاد مرجعية قيمية إسلامية توجيهية تهدي الأعمال وتحميها من الاستلاب والانفلاق معا .

وتستمد هذه الاستراتيجية مبادئها ومنطلقاتها من

القواعد التالية :

أولا : القاعدة الإيمانية : تستند الاستراتيجية في

تصوراتها إلى المرجعية القيمية الإسلامية التي تنظر إلى العمل الثقافي على أنه فعل تعبدي، وليس مجرد مهارات وتقنيات، مؤكدة بذلك البعد الروحي والقيمي للتنمية الشاملة المنشودة للمسلمين .

ثانياً : القاعدة التوازنية : تقوم على التلاحم بين مبدأي الأصالة والمعاصرة، حيث تعمد إلى ترسيخ قيم الانتماء العقيدى والحضارى من جهة، وإلى الانفتاح على مستجدات العصر من جهة أخرى، لكي لا تنقطع صلة هذه الأجيال بماضيها، وفي الوقت نفسه، لا تتعاس عن مواكبة زمانها .

ثالثاً : القاعدة الشمولية : تنطلق من أن البناء الحضارى السوي لأي مجتمع من المجتمعات، يجب أن يقوم على العناية بمختلف الجوانب الثقافية والاجتماعية والتربوية، مؤكدة بذلك تعدد الأبعاد للنموذج الحضارى السليم^(١) .

(١) استراتيجية العمل الثقافي الإسلامى في الغرب، ص : ٨، نشر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ٢٠٠١ م .

إن هذه الاستراتيجية، كما هو واضح، تعد فتحة في تعامل العالم الإسلامي مع أبنائه وبناته المهاجرين على مختلف فئاتهم وفي جميع مواقعهم. ولقد حرصت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، على تفعيل استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب، فأنشأت المجلس الأعلى للتربية والثقافة في الغرب الذي باشر عمله بعقد سلسلة من الاجتماعات في بعض العواصم الأوروبية، كما عينت المنظمة أحد الكفاءات الثقافية العاملة في الغرب للقيام بالتنسيق والمتابعة تحت إشراف الإدارة العامة. وتقوم المنظمة الإسلامية بتنفيذ عدد من الأنشطة التربوية والثقافية لفائدة الجاليات والأقليات الإسلامية بالتعاون مع المراكز والجمعيات الإسلامية في الغرب.

وتوسع العمل الذي تقوم به المنظمة الإسلامية في هذا المجال، بحيث امتد إلى أمريكا اللاتينية، وعقدت اجتماعين للمراكز الثقافية والجمعيات الإسلامية العاملة في دول

المنطقة، في بوينس إيريس عاصمة الأرجنتين. وستواصل المنظمة الإسلامية العمل في هذا المجال، إيماناً منها برسالة الجاليات والأقليات الإسلامية في خدمة قضايا الأمة من خلال تنظيم عملها وتنسيق جهودها والعمل من أجل حشدتها وتضافرها.

أوضاع الجاليات الإسلامية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر

انعكست تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، على أوضاع الجاليات والأقليات الإسلامية في الغرب بصورة عامة، كما أثرت مضاعفات هذه الأحداث، على الدور الذي تقوم به المؤسسات الإسلامية في أوساط التجمعات الإسلامية في بلاد المهجر، في خدمة الإسلام والمسلمين والعمل على إبراز صورة الإسلام، وذلك على النحو الذي أساء إلى سمعة العمل الإسلامي التربوي والثقافي في الغرب، وأضر بمصالح العالم الإسلامي إضراراً كبيراً.

لقد كان لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، أسوأ التأثير على صورة الإسلام في الغرب؛ فقد تحركت دوائر كثيرة، من أعلى المستويات إلى ما دونها، لشن حملات مغرضة ضد الوجود الإسلامي في الغرب، وضد كل ما يمت إلى الإسلام بصلة في كل مكان، وعلى نحو لا يقارن بما كان عليه الوضع قبل وقوع تلك الأحداث.

ولا تزال هذه الحملات تتصاعد على نحو خطير، مما يدعونا إلى إعادة النظر في تطوير أساليب العمل لفائدة الجاليات الإسلامية، لحمايتها والدفاع عن مصالحها، ولمساعدتها على إبراز صورة الإسلام الحقيقية.

إن المسألة تتعلق أولاً بتصحيح صورة الإسلام في العالم الإسلامي قبل التفكير في إبراز هذه الصورة للمجتمعات غير الإسلامية. ويتعين علينا أن ننطلق من الاقتناع بالحقيقة التالية، وهي أن تصحيح أوضاع الأمة الإسلامية وترشيد أحوالها، وتكييفها وفق المبادئ الإسلامية الحق التي تقوم على العدل والشورى والمساواة واحترام حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية وتقوية التضامن الإسلامي وتعزيز التعاون والتنسيق بين البلدان الإسلامية، وإعلاء شأن العلم وتطوير البحث العلمي، والحث على العمل وإتقانه إلى أبعد الحدود. إن ذلك كله يمثل الوسائل الكفيلة بتقويم أوضاع العالم الإسلامي تقويماً رشيداً، وبتقوية المجتمع الإسلامي والرفع من شأنه، وبتحصين الذات، وبالارتقاء إلى مستوى التعامل مع المتغيرات الدولية، بما يلزم من رشد سياسي، ونضج فكري، ورؤية إنسانية متفتحة، وقدرات ذاتية تساعد البلدان الإسلامية على حماية مصالحها والدفاع عن حقوقها، والحفاظ على مقدراتها ومواردها وسيادتها واستقلالها وسلامة أراضيها.

في هذه الحالة، تنعكس صورة العالم الإسلامي على الجاليات الإسلامية في الغرب، وتمتلك المؤسسات الإسلامية الوسائل الفعالة للعمل مع هذه الجاليات، على إبراز صورة الإسلام في نقائها وسماحتها، والوقوف في وجه الحملات المغرضة التي تسعى إلى تشويه هذه الصورة وتضليل الرأي العام في الغرب ووضع الحواجز بينه وبين شعوب العالم الإسلامي.

مسلمو الغرب والعالم الإسلامي

مقدمة الطبعة الثانية

مسلمو الغرب هم من يقيمون في الدول غير الاسلامية، سواء اكانوا في الغرب ام في الشرق، لشيوع المصطلح الذي يقصد به المجال الجغرافي خارج العالم الاسلامي دون تحديد. فهؤلاء المسلمون الذين يصل تعدادهم اليوم الى عشرات الملايين، والذين يستوطنون دولا في اوروپا، وفي الامريكيتين، ودولا اخرى في آسيا وافريقيا، هم جزء لا يتجزأ من الامة الاسلامية بطبيعة الحال، وهم الى ذلك ينتمون الى العالم الاسلامي حسب المفهوم الذي نتبناه لمصطلح العالم الاسلامي، وهم يشكلون مجتمعات اسلامية لها مشاكلها التي تختلف في كثير من وجوهها، عن المشاكل العامة التي يعيشها المسلمون في اقطارهم الاسلامية، مما يستدعي التعامل مع قضاياهم بفكر مستنير، ويفهم عميق لطبيعة الظروف التي يعيشون في ظلها، وبرؤية شمولية الى المحيط الدولي بما يتزاحم فيه من قضايا ومشاكل.

ولقد كان موضوع مسلمي الغرب بصورة عامة، من الموضوعات التي شغلتنني خلال الفترة الاخيرة، تاملًا في طبيعتها،

ومتابعة لها، ويحثنا عن المعلومات واستقراء للمعطيات، وقراءة لعدد من الكتب والدراسات والتقارير، بحكم المسؤوليات التي أضطلع بها، وبالنظر الى تزاخم الاحداث التي يعرفها العالم والتي يحتل مسلمو الغرب مساحة في خطيريتها، لاسباب كثيرة شرحتها في هذه الدراسة التي نشرتها في كتاب باللغات الثلاث، العربية والانجليزية والفرنسية، في سنة ٢٠٠٥م، كان له رواج في الاوساط المهمة، وتلقته دوائر كثيرة بالاهتمام والقبول، سواء في العالم الاسلامي، او في البلدان الغربية.

ومما يسعدني أن ألقى عرضاً كريماً من المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، لنشر طبعة ثانية من هذا الكتاب بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي للوحدة الإسلامية هذه السنة ٢٠٠٦م، تحت عنوان: «المسلمون في الاقطار غير الإسلامية: حقوقهم واجباتهم، مشاكلهم وحلولها».

وإذ أشكر للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية كريم اهتمامه، وأقدر لسماحة أمينه العام آية الله الشيخ محمد علي التسخيري ثقته وحسن ظنه، أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يحقق للأمة الإسلامية أهدافها في الوحدة والتضامن والتآزر، وينشر الأمن والسلام والوثام بين الأسرة الإنسانية في جميع أنحاء العالم.

د. عبدالعزيز بن عثمان التويجري

المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

Introduction of the second edition

Muslims of the West are Muslims who live in non-Islamic countries, either in the west or in the east. This expression is commonly used to refer indiscriminately to the geographic sphere outside the Islamic world. Those Muslims who count tens of millions and settle in many countries in Europe, the Americas, Asia and Africa are naturally an indivisible part of the Islamic Ummah. They belong to the Islamic Ummah, as we define it, and form Islamic societies with inherent problems differing from those encountered by Muslims in their Islamic countries. Such a state of affairs requires us to address their issues with clear-sighted thinking, thorough understanding of their situation, and a comprehensive vision of the international environment.

The subject of Muslims of the West is generally one of the subjects that have preoccupied me during the last period. Thus, according to the responsibilities devolved upon me, I have been keen on pondering over its nature, following its developments, looking for information, analysing data and reading a number of relevant books, studies and reports. Muslims have their own share in the torrent of current events, for the many reasons I explained in this study which is published in one book in Arabic, English and French, in 2005. The book has been welcomed with vivid interest in many circles, both in the Islamic world and in western countries.

It is a pleasure to me to receive a kind offer from the *World Academy for Bringing Muslim Madhahib Closer Together* to publish the second edition of this book on the occasion of the convening of the International Conference on Islamic Unity in 2006, on the theme "**Muslims in non-Islamic countries: their rights, duties, problems and solutions thereto**".

Thanking the *World Academy for Bringing Muslim Madhahib Closer Together* for its kind interest, and appreciating the trust and good intentions of its Secretary General, His Eminence Ayatollah Sheikh Mohammad Ali Al-Taskhiri, I beseech Allah the Almighty that this book be of practical use in achieving the Islamic Ummah's objectives in unity and solidarity and bringing security, peace and concord among the mankind all over the world.

Dr. Abdulaziz Othman Altwaijri
Director General of the Islamic Educational,
Scientific and Cultural Organization.

Introduction de la 2^{ème} édition

Les communautés et minorités musulmanes dans les pays non islamiques constituent une composante essentielle dans les mutations internationales qui rythment le monde d'aujourd'hui. Les troubles qui ont éclaté récemment dans certaines villes européennes ont eu un impact négatif sur les musulmans établis en Occident. De même, les actes terroristes perpétrés le 11 septembre 2001 à New York et Washington ont porté un grave préjudice à d'importantes communautés musulmanes en Occident, nuisant par là même à leurs droits politiques, civiques, sociaux et culturels. En conséquence, l'image des musulmans a été sérieusement ternie et les accusations fallacieuses contre la religion, la culture, la civilisation et la Oumma islamiques ont redoublé d'intensité.

Récemment, l'on a assisté à un regain d'intérêt, pour les conditions des communautés et minorités musulmanes, tant de la part des institutions et organisations islamiques concernées par les questions de l'islam et des musulmans dans le monde que de la part des milieux étrangers qui s'intéressent aux communautés et minorités musulmanes établies en Occident pour l'intérêt de leurs pays.

C'est dans ce contexte que j'ai publié une étude intitulée « *les communautés et institutions islamiques et leur rôle dans la mise en évidence de l'image de l'islam* », parue en 2005 dans un même ouvrage en langues arabe, française et anglaise. Cette étude a été bien accueillie par les milieux intéressés et a fait l'objet d'un vif intérêt, aussi bien dans le monde islamique que dans les pays occidentaux.

C'est ainsi que je me réjouis de la parution de la seconde édition de cet ouvrage sous les auspices de l'Académie mondiale pour le Rapprochement des Madhahib islamiques à l'occasion de la tenue, en 2006, de la Conférence internationale sur l'unité islamique sous le thème « Les musulmans dans les pays non islamiques : leurs droits, leurs devoirs, leurs problèmes et leurs solutions ».

En remerciant l'Académie mondiale pour le rapprochement des Madhahib islamiques de son intérêt et Son honorable Secrétaire général, Ayatollah Cheikh Mohamed Ali Taskhiri, de sa confiance, je prie le Tout-puissant de faire du présent ouvrage une œuvre édifiante, de guider la Oumma islamique dans sa marche vers l'unité, la solidarité et l'entraide et d'instaurer la paix et l'entente au sein de la famille humaine dans le monde entier.

**Dr Abdulaziz Othman Altwaijri, Directeur
général de l'Organisation islamique pour
l'Education, les Sciences et la Culture -ISESCO-**

مقدمة الطبعة الاولى

المسلمون في الغرب هم جزء من الأمة الإسلامية، ووجودهم في الغرب هو امتدادٌ لوجود العالم الإسلامي، وإنما تنبع أهمية هذا الجزء وخصوصية هذا الوجود، من عاملين اثنين : أولهما العلاقة الحالية القائمة بين الغرب بصورة عامة وبين العالم الإسلامي بالمفهوم الواسع، وهي علاقة تَتَجَادُبُهَا في الغالب أطراف الصراع وأسباب التوتر ودوافع سوء الظن والتوجس، نتيجة لرواسب تاريخية تتسبب في إصدار الأحكام المسبقة على كل ما له، أو من له، صلة بالإسلام والمسلمين، وثانيهما تفوق الغرب علمياً وتقنياً واقتصادياً وصناعياً عن بلدان العالم الإسلامي بمسافات بعيدة، مما يجعله يتحكم في زمام السياسات الاقتصادية والعلاقات الدولية ويفرض اختياراته ويمارس هيمنته على الدول التي تُصنَّفُ في خانة الدول النامية ومنها دول العالم الإسلامي. ولذلك كان الاهتمام بمسلمي الغرب. والفرق كبير بين هذه العبارة وبين العبارة الأخرى (المسلمون في الغرب) كما بيّنت ذلك في هذه الدراسة. مسألة تستأثر بالاهتمام على مستويات متعددة، أحدها هو المستوى الذي بحثت في إطاره الجوانب المتصلة بهذا الموضوع والقضايا المتفرعة عنه.

إن الفكرة الأساس التي انطلقت منها في هذه الدراسة، والتي قصدت فيها إلى التأكيد على مضمونها، وتوضيح معانيها، وتحليل أبعادها، هي الترابط الوثيق الذي يرقى إلى العروة الوثقى التي لا انفصام لها، بين المسلمين في الغرب، على تعدد طوائفهم

وتنوع أوضاعهم الاجتماعية واختلاف أحوالهم الثقافية وتمايز تصنيفاتهم القانونية التي تتفاوت بين مواطنين أصليين من دول عربية، وجاليات قدمت من بلدان إسلامية وأقامت واستوطنت في دول الغرب، بعضها اكتسب الجنسية، وبعضها الآخر احتفظ بجنسيته الأصلية، وبين الأمة الإسلامية بالمدلول الديني والمفهوم المدني والمحتوى الوظيفي للعبارة. ولقد وجدت من خلال دراساتي للقضايا والموضوعات ذات الصلة، أن ثمة حاجزاً وهمياً أقيم في ظل الغفلة وخلال مرحلة سابقة، بين المسلمين في الغرب، أو بين مسلمي الغرب، وبين العالم الإسلامي قاطبة، بينما جوهر المسألة أنهم جزء من كل لا يتجزأ، وفئة من جماعة لا تتفرق.

إن العلاقة بين الغرب عموماً وبين العالم الإسلامي، تتطلب مزيداً من الجهود المخلصة لتعزيزها وتعميقها، لأن التعاون والتعايش والتفاهم والحوار شروط لازمة لإقامة علاقات متوازنة وصلات متكاملة تكفل ضمان المصالح المشتركة، من أجل بناء نظام دولي إنساني الروح تسود فيه قيم الحق والعدل والإنصاف ومبادئ الأمن والسلام.

والله الموفق

د. عبدالعزيز بن عثمان التويجري

المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

كلمة في المنهج

ما الضرق بين عبارة (مسلمو الغرب) وعبارة (المسلمون في الغرب)؟ نعتقد أن ثمة فروقاً تتعدى المعنى اللغوي الذي يتراوح بين المضاف والمضاف إليه وبين الجملة الخبرية، إلى معنى أعمق يستحق منا أن نتدبره ونتامله وندرس ما يترتب عليه من دلالات ومضامين. ذلك أن عبارة (مسلمو الغرب) تنطوي على دلالة عميقة تؤكد النسبة إلى الغرب بكل ما تعنيه هذه النسبة من ارتباط جغرافي وانتماء تاريخي، كما تنطوي على مضمون قانوني ودلالة دستورية وحالة انتماء دائمة لا سبيل إلى الإخلال بشروطها. بينما تخلو عبارة (المسلمون في الغرب) من هذه الدلالة وتنصرف إلى المعنى المادي المجرد الذي يقتصر على الوجود دون أن يتعداه إلى أي معنى آخر، كما تنصرف إلى مفهوم متحرك وحالة غير مستقرة، تفتقد إلى المكونات القانونية والمسوغات الدستورية.

فمسلمو الغرب هم جزء من النسيج المجتمعي في دول الغرب، بالمصطلح السائد التي تشمل دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول أمريكا اللاتينية، بل إننا إذا أسقطنا من اعتبارنا الحدود الجغرافية، أمكننا أن نضيف أستراليا واليابان، على سبيل المثال. إلى هذا المحيط الغربي. وإذا استعملنا التعبير التحوي، فإن الإضافة هنا عامل أساس في تشخيص حالة المسلمين في الغرب، ولذلك فإن العبارة التي اعتمدها في هذا البحث، وهي (مسلمو الغرب)، تعبّر عن الحالة القائمة بأرض ما يكون من الدقة، وتجعلنا أمام الظاهرة الاجتماعية والثقافية التي تتمثل في الوجود الإسلامي الراسخ في الغرب الذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من المجتمعات الغربية، والذي يشكل في عالم اليوم، ظاهرة جديدة تستحق الدراسة.

الخلفيات التاريخية

للمرة الأولى في التاريخ تنشأ ظاهرة وجود المسلمين في الغرب في مجتمعات أصيلة ذات الانتماء التاريخي والجغرافي والقانوني إلى مجموعة من الدول الغربية. فقبل النصف الثاني من القرن العشرين، كان المسلمون من الأصل الغربي يشكلون نسبة قليلة جداً من تعداد السكان في الغرب، بحيث لم يكونوا يشكلون ظاهرة اجتماعية ودينية، بل لم يكن وجودهم يلفت النظر. ومعظم هؤلاء كان يعيش في الدول الأوروبية التي كانت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، وانفصلت عنها، كما هو معروف، إبان الحرب العالمية الأولى، فنشأت دول أوروبية مستقلة حديثاً بعد أن وضعت الحرب أوزارها، في منطقة البلقان واليونان، وفيما كان يعرف إلى وقت قريب بأوروبا الشرقية التي انتهى بها المطاف إلى السقوط تحت هيمنة الاتحاد السوفياتي السابق بعد الحرب العالمية الثانية.

ومسلمو هذه الدول الأوروبية هم جزء أصيل من نسيج المجتمعات الغربية الأوروبية، فهم مسلمو الغرب تاريخياً وواقعياً، وهم يكتسبون الأصالة والعراقة في انتمائهم الإسلامي، باعتبارهم ينتمون إلى الشعوب التي عاشت في أوروبا منذ أقدم العصور، والتي اعتنقت طوائف كثيرة منها الإسلام في القرون الوسطى، التي لم تكن بالنسبة للعالم الإسلامي مراحل الظلام والتخلف كما كانت تسود الغرب في تلك العصور، وإنما كانت دولة الخلافة العثمانية خلال هذه المراحل الطويلة التي استغرقت خمسة قرون، سيّدة العالم بلا منازع.

لقد دخل الإسلام إلى أوروبا في القرن الخامس عشر للميلاد. ولربما أمكن لنا أن نقول إن احتكاك الغرب بالعالم الإسلامي خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين اللذين شهدا ما تسميه المراجع الأوروبية بالحروب الصليبية، قد نتج عنه تعرّف بعض الفئات من الشعوب الأوروبية على الإسلام. وإذا كانت المصادر التاريخية عن تلك الفترة لم ترد فيها الإشارة إلى دخول بعض الأفراد في الإسلام، فإن لنا أن نتخيّل أن أفراداً أو مجموعة ممن شاركوا في تلك الحروب،

قد تعرفوا على الإسلام، ولربما اعتنقه بعضهم.

ولابد أن نستثني هنا الأندلس التي هي جزءاً من أوروبا، والتي دخلها الإسلام في القرن الأول الهجري. وحتى بعد سقوط غرناطة آخر حصون الإسلام في الأندلس في عام ١٤٩٢م، استمر الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية لقرنين من الزمن، في شكل الأقلية المسلمة التي عرفت في التاريخ بالموريسكيين^(١). ويذهب المؤرخ محمد عبد الله عنان إلى أن المسلمين كانوا لا يزالون يعيشون في الأندلس إلى غاية القرن السابع عشر الميلادي، أي بعد قرنين من سقوط غرناطة، وإن كانوا قد عاشوا مطوقين بالاضطهاد الذي بلغ ذروته في تلك الفترة، إلى أن لم يبق في الأندلس مسلم^(٢).

والملاحظ أن انتهاء الوجود الإسلامي في الأندلس بهذه

(١) هؤلاء يمثلون المأساة التي استحوطت فيها بقية الأمة الأندلسية بالتنصير المفروض إلى طائفة جديدة عرفت من ذلك التاريخ بالموريسكيين - MORISCOS - أو المسلمين الأصاغر أو العرب المنتصرين - محمد عبد الله عنان في (نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين)، ص : ٣٢٢.

(٢) محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ص ٤٠٧، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦ م.

الصورة الهمجية من القمع والاضطهاد الديني العنصري، قد تزامنَ مع ما يعرف في أوروبا بعصر الأنوار.

والجدير بالذكر هنا أنه مع ظهور بوادر الصحوة الإسلامية في إسبانيا المعاصرة، قبل عقدين على الأقل، بدخول أعداد متزايدة من الإسبان في دين الله أفواجا، ظهر من بين المسلمين الجدد من أعلن على الملأ أنه توارث الإسلام أباً عن جد طوال القرون الأخيرة، وأن أجداده حافظوا على الإسلام وتم يرتدوا قط، كما ارتدَّ بعض المسلمين في الأندلس تحت وطأة محاكم التفتيش. وهذه حالة فريدة تثبت لنا أن الإسلام يستعصي على القهر والمحو والذوبان حتى في أحلك الظروف التي مرَّ بها في الأندلس.

ولكن الإسلام وإن كان قد ضعف وجوده البشري في أوروبا في حدود القرن الثامن عشر، فإن التأثير القوي الذي أحدثته الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي في عقول مفكري أوروبا في عهود مختلفة، ظلَّ يعمل عمله في توجيه الفكر الأوروبي نحو مجالات لم تكن مطروقة. وهنا لابد من الإشارة إلى ما كان لمؤلفات الفيلسوف الفقيه العالم أبي الوليد بن رشد

وشروحاته لمؤلفات أرسطو طاليس، من تأثير بعيد الغور في العقل الأوروبي ابتداءً من القرن الثالث عشر، إلى درجة أن المنصفين من مؤرخي النهضة الأوروبية أثبتوا في مؤلفاتهم التي تعدُّ من المراجع المعتمدة المهمة، أن الفكر الرشدي كان هو الأساس في تطوير الفكر الأوروبي وارتقائه وتحرره من رواسب القرون الوسطى، وخروجه من عصر الظلمات الذي هيمنت فيه الكنيسة الغربية على الحياة العقلية، حتى ساد الجهل والخرافة وحورب العلم محاربة لا هوادة فيها، إلى عصر الأنوار.

وعلى المستوى العلمي، فقد ظلت الجامعات في أوروبا تدرس الكتب العربية في الطب والصيدلة إلى القرن الثامن عشر، حيث كانت مؤلفات ابن سينا والبيروني وابن الهيثم في العلوم الطبية، من المصادر الأساس للمعرفة العلمية ولازدهار الحياة الأكاديمية في العديد من المدن الأوروبية.

ونخلص من هذا إلى أن للإسلام تأثيراً لا ينكر على العقل الأوروبي، وعلى الحياة الفكرية والعلمية في أوروبا، منذ الاحتكاك المباشر الذي وقع بين الشرق الإسلامي والغرب

المسيحي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، وخلال الوجود الإسلامي في الأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط، وخاصة صقلية. ولا قيمة للآراء التي تقلل من أهمية هذا التأثير، لأنها نشاز^(١).

(١) هذه الحقائق التاريخية تدحض بشكل كامل المقولة التي كان يرددها الكاتب الإنجليزي رديارد كبلنج : (الشرق شرق والغرب غرب وهيئات أن يلتقيا). والذي يقرأ مؤلفات كبلنج يشتم بين سطورها أكثر من هذه العبارة، لقد كان من طغاة المستعمرين الذين أدى بهم التعصب الأعمى إلى الاعتقاد بأن حضارة الشرق قد قضى عليها القضاء الأخير، وأن رمال الصحراء قد دفنتها إلى الأبد، ولن يسمح لها الزمان أن تبعث، وأكثر من ذلك، أن الحضارة الغربية لن تستطيع أن تغير من العقلية الشرقية - د. أمير بقطر، حضارة الغد هل تطلع من المشرق ٩. مجلة (الهلال)، مارس ١٩٥٣ م، القاهرة.

الوجود الإسلامي في الغرب أقليات وجاليات

نشأت ظاهرة الأقليات الإسلامية في العصر الحديث، مع تصاعد الهجرة من البلاد الإسلامية إلى مختلف أقطار الأرض، خلال العقد الأول من القرن العشرين في مستواها الأول، بينما برزت هذه الظاهرة في مستواها الثاني، مع نشوء الدول الحديثة في العديد من المناطق التي كانت تقع تحت حكم المسلمين، إلى أن قررت القوى الاستعمارية الأوروبية إعادة رسم الخريطة السياسية والجغرافية لهذه المناطق، بحيث يتضاءل نفوذ المسلمين ويتقلص حضورهم، ليصبحوا أقلية في المجتمعات التي كانوا يحكمونها إلى عهد قريبة.

فمع نمو حركة انسياب الهجرة من العالم الإسلامي إلى شتى الأصقاع، وبخاصة إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية،

في أول العهد، ثم إلى أمريكا الجنوبية وكندا وأستراليا، نشأت ظاهرة الأقليات الإسلامية لأول مرة تقريباً في تاريخ الإسلام، حيث وصل المسلمون إلى هذه الأقطار يحملون ثقافتهم وحضارتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ليجدوا أنفسهم وسط مجتمعات لها أديانها ولغاتها وثقافتها، ولها أنماط العيش وأساليب الحياة الخاصة بها والتي تختلف عما الفوه ونشأوا عليه وعاشوا في كنفه في بلدانهم الأصلية.

ولقد كانت الأفواج الأولى من المهاجرين من العالم الإسلامي إلى البلدان غير الإسلامية، ذات خصائص متقاربة يغلب عليها الطابع الشعبي العام؛ إذ لم يكونوا من ذوي المستويات الثقافية العالية، في حين كان البحث عن موارد الرزق، هو أكبر دافع على هذه الهجرات الأولى التي نتج عنها ظهور تجمعات إسلامية تتوزع على رقعة جغرافية مترامية الأطراف، وهو الأمر الذي أدى إلى ذوبان معظم هؤلاء المهاجرين في المجتمعات الجديدة عليهم، بحيث لم يشعر بهم أحد، خاصة في العالم الإسلامي الذي كان في وضع بالغ الضعف من جراء عوامل عديدة، يكفي أن نذكر منها، أن

معظم الأقطار الإسلامية، كان خاضعاً عهدئذ، للاستعمار الغربي.

وبالتحول الذي حدث في العالم الإسلامي، وبخاصة مع انتهاء الحرب العالمية الأولى، حصل تغيير رئيس في تركيبة المهاجرين من البلاد الإسلامية إلى الغرب على وجه الخصوص، حيث أخذت أفواج المتعلمين والدارسين من ذوي الكفايات الثقافية والعلمية والمهارات المهنية المتميزة، تغلب على ظاهرة الهجرة المتصاعدة في اتجاه البلدان الأوروبية والأمريكية، مما أدى إلى ظهور أوضاع جديدة طبعت حياة التجمعات الإسلامية التي أخذت في البروز بصورة واضحة في العديد من الأقطار، فنشأت عنها مشكلات متنوعة، شعر المسلمون في المهجر بوطأتها الشديدة عليهم، فصاروا يتطلعون إلى إيجاد حلول لها، حتى تستقيم حياتهم، وينتهوا إلى التوافق والانسجام بين ثقافتهم وهويتهم، وبين المحيط الاجتماعي والبيئة الثقافية والمناخ الفكري العام الذي وجدوا أنفسهم يعيشون في

خضمه^(١).

وعلى مستوى آخر، فإن تأسيس الدولة الحديثة في بعض الأقطار التي كانت تحت هيمنة الاستعمار الأوروبي، تسبب في نشوء أوضاع سياسية فرضت على المسلمين في العديد من المناطق، نتجت عنها حالة شديدة التعقيد تتمثل في أن مجتمعات إسلامية كثيرة انقلب وضعها من النضوذ والسيادة والأخذ بزمام الأمور، إلى الانعزال والتقوقع والانكماش وزوال السلطة، وبذلك نشأت أقليات إسلامية بقوة الأمر الواقع الذي فرضه المستعمر الأوروبي، فيما فرض من أوضاع أراد بها تحقيق مصالحه بعد رحيله من البلاد التي كان يحتلها احتلالاً عسكرياً مباشراً.

ويانتشار الإسلام في بقاع واسعة، سواء أكان ذلك بإقبال أهل الأديان والعقائد الأخرى على اعتناقه والدخول في دين الله أفواجاً أو أفراداً، أم بوصول المسلمين إلى تلك البقاع واختلاطهم بشعوبها واندماجهم فيها، نشأت أقليات إسلامية

(١) د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش، ص: ١٣٧،

ذاتُ خاصيَّتين ثقافيتين اثنتين : أولاهما أن هذه الأقليات جماعات بشرية متجانسة نابعة من مجتمعاتها الأصلية، فهي بذلك تكتسب صفة الانتماء إلى الأوطان التي تعيش فيها، وثانيتهما أن المعيار العددي لم يُفقد هذه الأقليات حقوقها السياسية والمدنية في أوطانها، يسري هذا على المسلم من أهل البلد غير الإسلامي الذي اعتنق الإسلام حديثاً، كما يسري على المسلم الذي وفد على بلد الهجرة من الخارج، فاندمج في محيطه، واكتسب صفةً المواطنة بحكم القانون. فهاتان الخاصيتان اللتان تمتاز بهما هذه الفئة من الأقليات الإسلامية، تجعلان الأوضاع التي يعيشها المسلمون في بعض الأقطار غير الإسلامية، ذات طبيعةٍ مختلفةٍ عن سائر الأوضاع التي تسود مجتمعات الأقليات الإسلامية في مختلف أنحاء الأرض.

ونستطيع أن نخلص من هذا التحليل، وبإلاستناد إلى المعيار العددي، وبالإحتكام إلى المقتضيات القانونية والدستورية المتعارف عليها دولياً، إلى أن الأقليات الإسلامية، هي إحدى الفئات الثلاث التالية :

أولاً : رعايا دولة غير إسلامية، ينتسبون إلى هذه الدولة بالأصل والمواطنة، عليهم ما على مواطني تلك الدولة من حقوق وواجبات. وتمثل هذه الفئة النسبة العالية من الأقليات الإسلامية. (مثل مسلمي الهند، والصين، والفلبين، وروسيا الاتحادية، المقيمين في أوطانهم الأصلية). ويندرج تحت هذه الفئة أيضاً مواطنو الدول غير الإسلامية الذين اعتنقوا الإسلام في أوطانهم، فهم جزء لا يتجزأ من شعوبهم، ولا ينقص دخولهم في الإسلام شيئاً من مواظنتهم.

ثانياً : رعايا دولة إسلامية يقيمون في دولة غير إسلامية ويخضعون لمقتضيات القانون الدولي ولأحكام القانون المحلي. وتأتي هذه الفئة في الدرجة الثانية من حيث التعداد. (مثل المسلمين من دول منظمة المؤتمر الإسلامي المقيمين في شتى بلدان العالم).

ثالثاً : رعايا دولة غير إسلامية يقيمون في دولة أجنبية غير إسلامية، وتمثل هذه الفئة نسبة كبيرة من الجماعات والأقليات الإسلامية. (مثل مسلمي الهند، والصين، والفلبين، وروسيا الاتحادية، وجنوب أفريقيا ... الخ المقيمين في دول لا

تنتمي إلى منظمة المؤتمر الإسلامي). ومن الواضح الجلي أن هذه الفروق التي نشير إليها هنا، إنما تخضع لمفهوم القانون الدولي، ولكن حينما يتعلق الأمر بالمفهوم الإسلامي للقضية في عمقها، فإن هذه الفروق تتلاشى بصورة تلقائية، إعمالاً لمبدأ الأخوة الإسلامية، طبقاً لقوله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة) (الحجرات، الآية : ١٠)^(١).

ومن الطبيعي أن تختلف الأوضاع العامة للأقليات الإسلامية، من بلد إلى آخر، ومن قارة إلى أخرى ولكن، وعلى الرغم من هذا الاختلاف القانوني والدستوري، فإن هناك قدراً مشتركاً من التشابه فيما يجب القيام به تجاه هذه المجتمعات الإسلامية، من حيث العناية بشؤونها، والاهتمام بأحوالها، وتقديم الدعم الثقافي والتربوي والعلمي لها، ومساندتها في حماية هويتها وصون ذاتيتها الحضارية، ومن حيث المشكلات التي تعاني منها هذه الأقليات في الغالب الأعم، وما تستدعيه هذه المشكلات من حلول موضوعية، ومعالجة سليمة لها.

(١) المصدر نفسه، ص : ١٣٩.

لقد كان التنبّه إلى وجوب الاهتمام بالأوضاع العامة للأقليات الإسلامية في العالم، جزءاً من حركة اليقظة الشاملة التي سادت العالم الإسلامي منذ أن أخذت الشعوب الإسلامية تتحرّر من قيود الاستعمار الأوروبي. ولقد تفاوتت درجة هذا الاهتمام من مرحلة إلى أخرى، تبعاً لخط تصاعد الاتجاهات العامة في العالم الإسلامي ونموها في مستوياتها السياسية والثقافية والفكرية، إلى أن صار الاهتمام بالأقليات الإسلامية، من صميم العمل الإسلامي المشترك في قنواته الرسمية والشعبية، من وجوه شتى، وتحت تأثير ضغوط المشكلات المتعددة التي بدأت تحاصر هذه الأقليات، لاسيما في العقود الأخيرة التي تصاعد فيها مدّ الموجات العنصرية والفكرية والثقافية والمذهبية والسياسية المعادية للإسلام عقيدة وثقافة وحضارة .

ولقد اكتسبت الأقليات الإسلامية في معظم البلدان الأوروبية والأمريكية بصفة خاصة، كياناً قانونياً يوفر لها إمكانات الاندماج في المجتمعات التي تعيش في وسطها على النحو الذي لا يفقدها خصوصياتها، ولا يؤثر في تركيبتها

الاجتماعية التي تستند إلى الهوية الثقافية الحضارية التي تتميز بها، بحيث صار اندماج هذه الأقليات في الحياة العامة للمجتمعات التي تعيش فيها، لا يتعارض مع صفة التمايز الحضاري الذي يطبع المجتمع الإسلامي في أية بقعة من الأرض ينشأ ويتكوّن هذا المجتمع. وهو الأمر الذي يجعل هذه الأقليات في موقع القدرة على الحوار والتعايش مع جميع الفئات في مجتمعاتها، ويمكنها في الوقت نفسه، من التعامل المتكافئ مع الظروف المحيطة بها، ويقدر كبير من الاستقلالية في القرار، والحرية في التصرف.

إن العلاقات التي تُقيمها الأقليات الإسلامية مع غير المسلمين في البيئات التي تعيش فيها، تنبع أولاً من خصوصية الثقافة الإسلامية التي تنفتح على الغير، وتتميز بالتسامح مع جميع أهل الأديان والعقائد والثقافات والحضارات، وتنزع نحو التعاون في إطار الأخوة الإنسانية التي تجمع بين البشر كافة، من دون اعتبار للاختلاف في المعتقد والمذهب، أو في العرق والجنس، وتقتضيها ثانياً، ضرورات التعايش الذي أصبح سمة العالم الجديد، وتُمليها متطلبات الحياة في المجتمعات

المعاصرة، وتفضيها المصلحة المؤكدة لهذه الجماعات الإسلامية الناشئة في غير البلاد الإسلامية. بل إن هذه العلاقات ترتقي إلى مستوى أعلى من مجرد كونها ضرورات، لأن استمرار حياة الأقليات الإسلامية على النحو الذي يضمن لها الاستقرار ويكفل لها المناخ الطبيعي السليم للرفق والتقدم، يتطلب إقامة أوثق علاقات التعاون مع جميع مكونات المجتمع الذي تعيش فيه هذه الأقليات، وعلى مختلف المستويات، وبما يحقق اندماجها الفاعل والمؤثر في المحيط العام على النطاق الواسع، وبالقدر الذي يجعلها طرفاً مشاركاً في الحياة العامة. وأياً كانت الظروف التي تكتنف كل فئة من الفئات التي تتكوّن منها الأقليات الإسلامية، فإنه مما لا شك فيه، أن العلاقات التي تُقيمها هذه الأقليات مع غير المسلمين، هي المحك الذي يمحس سلامة الكيان الحضاري للمسلمين في غير ديار الإسلام؛ فبقدر ما تنتظم هذه العلاقات وتستقيم على النهج الصحيح وتقوم على القواعد السليمة، يتقوى استقرار الأقليات الإسلامية، ويتعاضد الدور الذي تؤديه في

الحياة العامة، وتُتْرَأيَدُ المكاسب التي تحققها والمنافع التي تجنيها .

إن الرصيد الثقافي والحضاري الذي تمتلكه الأقليات الإسلامية في كل مكان، يمدّها بأسباب التواصل مع المجتمعات غير الإسلامية التي تتعايش معها، على شتى المستويات ؛ فعلى المستوى الإنساني، يعتبر التسامح الحضاريُّ القاعدة العامة التي يبني عليها المسلمون علاقاتهم بغير المسلمين، وهو تسامح ينطلق من الإيمان بوحدة الأصل الإنساني، وبالقيم والمثل العليا التي يدين بها البشر في كل عصر من عصور التاريخ، وهي قيمُ الخير والعدل والفضيلة والصدق والأمانة والاستقامة والبروة والنجدة. وعلى مستوى تبادل المصالح والمنافع والتعايش بمفهومه الشامل العميق، فإن المسلمين المتشبهين بتعاليم دينهم الحق، يعلمون جيداً أن العمل وجهٌ من وجوه العبادة، وأن السعي في الأرض تكليفاً ربّانيّاً للإنسان، وأن نفع العباد مقصدٌ شريفٌ من مقاصد الشريعة الإسلامية، وأن درء المفسد مقدّمٌ على جلب المنافع، وأن التعاون على البر والتقوى والخير والمصلحة العامة،

فريضةً دينية، وأن اكتساب القوة وتحقيق الرقيّ وصنع التقدم والتفوق في العلم والتعمق في المعرفة، من مقتضيات الحياة الكريمة التي ينشدها الإنسان السويُّ في كل مكان وزمان^(١).

أما على المستوى الثقافي العام، وعلى الصعيد الحضاري، فإن المسلمين حيثما كانوا، يسعون دائماً إلى التقارب مع أتباع الديانات والثقافات والحضارات، والتحاور معهم، ويجعلون هذا التقارب والتحاور في مقام الدعوة إلى الله التي أمر سبحانه وتعالى، أن تكون بالحكمة وبالموعظة الحسنة وبالتي هي أحسن، ويصدرون في سلوكهم هذا عن إيمان بالرسالة التي يحملونها، وبواجب تبليغها إلى الناس كافة، وبأنهم دعاة هداية ربانية، وحضارة بانية، وثقافة هادفة.

وحيثما تجمع المسلمون خارج ديار الإسلام، سواء أكانوا جالية تقيم بصفة مؤقتة، أم أقلية مستوطنة، أم أقلية مواطنة، فإن القيم والمبادئ التي يؤمنون بها تشع من حولهم، وتترك أثرها في تعاملهم مع من يعيشون معهم، لأن هذه القيم بانية

(١) المصدر نفسه، ص: ١٤١.

للعلاقات الإنسانية السليمة، ومؤسسةً لمبادئ التعايش الحضاريّ الراقى.

بيد أن تأثير القيم الإسلامية في المحيط الاجتماعي الذي يشكل المسلمون فيه نسيجاً متناسقاً ومتربطاً، لا يأتي مفعولُه الإيجابي، إلا إذا توفرت شروطٌ موضوعية تتمثل في الإيمان والوعي بهذه القيم، وتشريتها، وتمثلها، والعمل بمقتضاها، وهو الأمر الذي يقتضي القيام بمجهود مستمر في التوعية، والتربية، والتوجيه، على أكثر من مستوى، مما له علاقةٌ بالرعاية المتكاملة في إطار الحرص على حماية الهوية الثقافية والذاتية الحضارية.

ولاشك أن الأقليات الإسلامية المقيمة في مختلف الأقطار، هي أحوج ما تكون إلى أن نتعهدنا بهذه الرعاية المتكاملة، تربوياً وثقافياً وأخلاقياً وفكرياً، حتى تبقى هذه الأقليات في منأى عن المؤثرات الضاغطة التي تهدد الوجود المعنوي في الصميم، وتضعف في الإنسان المناصة الثقافية والأخلاقية، فيصبح فريسةً للضياع والانحراف والتهيه.

ولذلك فإن تأثير الأقليات الإسلامية في المجتمعات التي تعيش في محيطها، يتوقف على مدى سلامة الكيان الفكري

والثقافي، وعلى المناعة الأخلاقية لهذه الأقليات ؛ فكلما كانت الجماعات الإسلامية خارج بلدان العالم الإسلامي، متمسكة عقائدياً وأخلاقياً، وواعية برسالتها الحضارية، كان ذلك أقرب إلى التأثير الإيجابي المتحضر في البيئة والمحيط.

أما إذا ضُغِفَ هذا الكيانُ وتَرَخَى بسبب غياب الوعي الديني الصحيح وانعدام التضامن القوي والعمل المنظم المتقن في إطار احترام القوانين السائدة والاستفادة منها، وغير ذلك من الأسباب، انعزل المسلمون عن مجرى الحياة، وانسحبوا من ميدان التدافع الحضاري، وانتهى أمرهم إلى التلاشي، فالانهيار، حيث تصبح الأقلية الإسلامية في هذه الحالة، عبئاً ثقيلاً على المجتمع الإسلامي الكبير، تُسيء إلى الإسلام من حيث تدري أو لا تدري.

من هذا المنظور، فإن علاقة الأقليات الإسلامية بغير المسلمين، ينبغي أن تقوم على أساس من القيم الإسلامية التي تصنع الفرد والجماعة، وتجعل من المسلم عضواً فاعلاً ومؤثراً في دائرته القريبة، وفي محيطه الأشمل، وفي أي بيئة يعيش فيها، يتجاوب مع ما تعجُّ به الحياة من أحوال وأحداث، ويتفاعل مع ما يسود المجتمع من أفكار وآراء ومواقف، ويستوعب كل ما يجري من حوله بعين فاحصة، وعقل مدبّر،

وفكر حصيف.

فإذا ارتقت الأقليات الإسلامية إلى هذا المستوى من التعامل والتجاوب والتحاور مع المجتمعات التي تعيش فيها، كان لها حضورٌ متميِّزٌ في ميادين العمل العام، وكان لها تأثيرها الفاعل في مَجْرَيَاتِ الأمور، وكان لها بعد ذلك كله، صوتُها المسموع وذكُرُها المحمود.

وليست الأقليات الإسلامية سواء في مدى تعاملها مع غير المسلمين، وإنما هناك تفاوتٌ في درجة هذا التعامل، وفي تأثيره، نتيجة اختلاف ظروف كل فئة من فئات الأقليات الإسلامية. ويترتب على هذا التفاوت، تعددٌ في مستويات تجاوب الأقليات الإسلامية مع مختلف طبقات المجتمع الذي تعيش فيه، مما ينعكس على العلاقة التي تُقيمها هذه الأقليات مع غير المسلمين، سواء على المستوى السياسي، أو على المستوى الثقافي والإنساني العام.

وليس من شك أن العلاقات الثقافية لا تثمر النتائج المرغوب فيها، إلا إذا استندت إلى قاعدة راسخة من الاحترام المتبادل، ومن الثقة في دوافع كل طرفٍ من الأطراف المنشئة لهذه العلاقات، ومن الإيمان بالأهداف المشتركة، والالتقاء حولها، والافتناع بها، وجعلها محطاً كل اهتمام وموضع كل

عناية، حتى تتحقق في الواقع المعيش.

ومن المؤكد أن الأقليات الإسلامية ستحقق لذاتها منافع جمّة وفوائد كثيرة، إذا ما وفقت في إقامة علاقات ثقافية غنية ومثمرة مع جميع شرائح المجتمعات التي تندمج فيها وتتعايش معها، فمن شأن تقوية العلاقات الثقافية بين الأقليات الإسلامية، وبين غير المسلمين، أن تُنشئ روابط إنسانية متينة ترسخ الوجود الإسلامي في الديار غير الإسلامية، وتساهم في إبراز الصورة الحقيقية للإسلام، وفي تصحيح ما يروج من مغالطات وافتراءات وأخطاء، عن الإسلام، من حيث هو عقيدة ودين وثقافة وحضارة.

إن إقامة علاقات ثقافية نشيطة وذات فعالية ومردود واقعي، على أي مستوى من المستويات، تتطلب انتهاج الطرق القانونية، وسلوك المنهج العلمي الذي يقضي إلى أقوم السبل المؤدية دائما إلى تحقيق الأهداف المتفق عليها.

ويقتضي هذا أن يرجع في إقامة هذه العلاقات، إلى القوانين المحلية، والتقيّد بمقتضياتها، والالتزام بروحها ونصها، وذلك تجنباً لأي لبس أو غموض، وابتعاداً عن أية شبهة أو مظنة، وتوخياً لبلوغ الغايات الشريفة في قصد واعتدال.

مسلمو الغرب في إطار العمل الإسلامي الدولي

هذه الفئات العريضة والعناصر المتنوعة والكثيرة التي تشكل الوجود الإسلامي في الغرب بكل أطيافه وتصنيفاته من الأقليات والجاليات، هي جزء أصيل من الأمة الإسلامية، من حقوقها على الأجهزة العاملة في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، إيلاؤها بالغ العناية والاهتمام.

إن الأقليات الإسلامية في العديد من المناطق والأقطار، تتوفر لها فرص كثيرة للعمل في هذا الميدان، خاصة الأقليات الإسلامية التي تعيش في الدول الأوروبية، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وفي كندا، وأستراليا، واليابان، وفي بعض دول أمريكا الجنوبية، حيث تُتيح القوانين المحلية، الفرص المتعددة لإنشاء الجمعيات والهيئات والروابط التي تنظم علاقات الأقليات فيما بينها من جهة، وفيما بينها وبين جميع فئات المجتمع ومختلف شرائحه، من جهة ثانية، وحيث تكفل هذه

القوانين للأقليات، الحق في ممارسة الشعائر الدينية، والقيام بالأنشطة الثقافية التي تخدم الأهداف التي ترغب في تحقيقها، وتمهد أمامها السبل نحو تنمية علاقات التعاون مع مكونات المجتمع الذي تعيش فيه، بالقدر الذي يكفل لها حظوظاً كبيرة لتطوير قدراتها، ولتقوية كيانها، ولإحكام علاقتها بمن تشاء من الفئات والطوائف، من مختلف المشارب والمذاهب والاتجاهات.

أما الأقليات الإسلامية التي تعيش في أوطانها، كحائتي مسلمي الهند والصين، على سبيل المثال لا الحصر، فإنها في حاجة ماسة إلى تنظيم نفسها بالشكل القانوني الذي يضمن لها العمل على تنمية ذاتيتها، وإقامة علاقات ثقافية مع المحيط الذي تعيش فيه، من أجل أن تحافظ على هويتها الثقافية التي من أقوى مقوماتها وأهمها على الإطلاق، عقيدتها الدينية.

وليس بخافٍ أن الأقليات الإسلامية في هذه البلدان، لا تجد المناخ المناسب في معظم الأحوال، للتحرك في هذا الاتجاه. وهنا يتعين على المنظمات والهيئات الإسلامية الرسمية

والشعبية، أن تقوم بواجبها تجاه الأقليات الإسلامية التي تعيش في أوطانها محرومة، أو مضطهدة، أو واقعة تحت ضغوط مختلفة المصادر. ومن أوجب واجبات البلدان الإسلامية أن تتضافر جهودها في تقديم الدعم المادي والأدبي لهذه الأقليات، وأن تقوي صلاتها بها، وأن تُشعرها دائماً بأنها جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية، تتجاوب معها، وتساندها وتدعمها.

والعلاقات الثقافية التي تنظمها الأقليات الإسلامية في مثل هذه البلدان، تشكل في جوهرها، رصيماً للأمة الإسلامية، يمكن استثماره في التعامل الرشيد مع حكومات هذه الدول ومع منظماتها الرسمية والشعبية، من أجل تحسين أوضاع المسلمين فيها، في إطار العلاقات الدبلوماسية القائمة بينها وبين بلدان العالم الإسلامي.

وفي كل الأحوال، فإن العلاقات الثقافية التي تقيمها الأقليات الإسلامية في مختلف المهاجر، سواء في الشرق أو الغرب، في الشمال أو في الجنوب، يمكن استثمارها لدعم الوجود الإسلامي في هذه الأقطار، بشتى الأساليب والطرق التي يكفلها

القانون الدولي، وذلك من أجل تصحيح صورة الإسلام التي تتعرض للتشويه، وتبليغ الرسالة الإسلامية إلى العالم، بلغة مفهومة، وبمنطق مقنع، وبأسلوب جذاب، من دون إخلال بجوهر العقيدة، أو بأصل من أصول الدين الحنيف، ومن دون بخس حق من حقوق المسلمين. ويتطلب هذا الأمر حسن التصرف، والفهم الرشيد لمقتضيات العمل الثقافي في قنواته الدولية، مع الوعي المتفتح بمتطلبات التحرك في هذه الميادين الحيوية.

وتتسع القنوات التي يوفرها العمل الدولي في المجال الثقافي، للعلاقات الثقافية بين الأقليات الإسلامية وبين غير المسلمين على العديد من الأصعدة؛ فعن طريق هذه القنوات، يمكن أن يُقيم المسلمون، خاصة في المهجر، علاقات تعاون نشيطة إذا عرفوا كيف يستثمرونها ويوظفونها التوظيف الجيد المدروس والمتقن، أمكن لهم أن يحققوا مكاسب كثيرة تنفعهم في حياتهم حيث هم، وتنفع العالم الإسلامي بأسره والمسلمين كافة في كل مكان.

وتعدّ العلاقات الثقافية في إطار المنظمات الدولية

والإقليمية، من أقوى الوسائل للتعاون فيما فيه المصالح المشتركة للشعوب. ويتوجب على الأقليات الإسلامية حينما كانت، أن تشارك مؤسساتها الثقافية والتربوية والاجتماعية في أعمال هذه المنظمات والهيئات الدولية، وأن تستفيد من الفرص التي تُتيحها في إقامة شبكة من العلاقات الثقافية المنتجة التي تصبّ في اتجاه خدمة مصالحها.

وتقع على منظمات العالم الإسلامي ومؤسساته المعنية بالعمل الثقافي العام، مسؤولية كبيرة في هذا المجال الهام، إذ أن الأقليات الإسلامية في حاجة شديدة إلى أن تقف هذه المنظمات إلى جانبها، وتدعمها، وتقدم لها الخدمات التربوية والعلمية والثقافية، وتوفّر لها المساندة والمؤازرة في كل الأحوال، لأن نجاح هذه الأقليات في حماية هويتها، وفي الدفاع عن حقوقها ومصالحها، يخدم في نهاية المطاف، المصالح العليا للعالم الإسلامي^(١).

ولقد صادق مؤتمر القمة الإسلامي العاشر على (استراتيجية العمل الإسلامي الثقافي في الغرب)، وهي الوثيقة ذات البعد الاستراتيجي والرؤية المستقبلية التي وضعتها

(١) المصدر نفسه، ص: ١٤٥.

المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، بالتعاون والتنسيق مع رؤساء المراكز الثقافية والجمعيات الإسلامية في أوروبا، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وفي أمريكا اللاتينية.

إن هذه الاستراتيجية تنطلق من قوله تعالى : { لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً } (المائدة، آية ٥٠)، ومن الإيمان بأن نهضة الأمم وتقدم الشعوب مرهونان بوعيها بذاتيتها الحضارية وبتخطيطها لمستقبلها، مدفوعة بدافع من مجموعة من العوامل أبرزها ما يلي^(١):

(أ) مبدأ التميز الحضاري : الداعي إلى الوعي بمقومات السلم الحضاري الإسلامي، وحماية الذاتية الحضارية للمسلم من آفات التيارات الأيديولوجية والثقافية والسياسية التي لا تتلاءم مع هويته الحضارية.

(ب) الوعي بالبعد الروحي والأخلاقي : البارز في تشخيص المنطلقات والغايات وتحديد المواقع والمواقف في ظل المتغيرات والاحتياجات والتحديات.

(ج) تأكيد مبدأ التعاون : إن التعاون والتنسيق بين

(١) استراتيجية العمل الإسلامي الثقافي في الغرب، ص : ٧، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، الرباط، ٢٠٠١ م.

العاملين في الحقل الثقافي الإسلامي في الغرب، عامل أساس في تطور الرسالة الحضارية للمراكز الثقافية والجمعيات الإسلامية.

(د) العمل الاستراتيجي : اقتناعاً من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بأن المشاريع الحضارية لا تبلغ شأوها وتحقق أهدافها، إلا بقدر الخطط والاستراتيجيات التي تستند إليها في بنائها، فقد وضعت عدة استراتيجيات موجهة في المجالات الثقافية والتربوية والعلمية التكنولوجية للعالم الإسلامي، وإيماناً منها بأن الجاليات والأقليات الإسلامية تشكل عضواً رئيساً في كيان الأمة الإسلامية المترامية الأطراف، حرصت على وضع هذه الاستراتيجيات للجاليات والأقليات الإسلامية في الغرب، ساعية إلى تحقيق أهداف منها: - تأكيد دور الثقافة في حماية الهوية الحضارية للجاليات الإسلامية.

- تقريب الرؤى وتوحيد مناهج العمل وتوطيد جسور التعاون بين العاملين في حقل العمل الثقافي الإسلامي في الغرب.

- تصحيح المفاهيم وتحديد المصطلحات.

- إيجاد مرجعية قيمية إسلامية توجيهية تهدي الأعمال وتحميها من الاستلاب والانغلاق معا.

من هذه المبادئ والمرامي، تستمد هذه الاستراتيجية منطلقاتها من القواعد الكبرى التالية:

أولاً: القاعدة الإيمانية: تستند الاستراتيجية في تصوراتها إلى المرجعية القيمية الإسلامية التي تنظر إلى العمل الثقافي على أنه فعل تعبدي، وليس مجرد مهارات وتقنيات، مؤكدة بذلك البعد الروحي والقيمي للتنمية الشاملة المنشودة للمسلمين.

ثانياً: القاعدة التوازنية: تقوم على التلاحم بين مبادئ الأصالة والمعاصرة، حيث تعمد إلى ترسيخ قيم الانتماء العقدي والحضاري من جهة، وعلى الانفتاح على مستجدات العصر من جهة أخرى، لكي لا تنقطع صلة هذه الأجيال بماضيها، وفي الوقت نفسه لا تتقاعس عن مواكبة زمانها.

ثالثاً: القاعدة الشمولية: تنطلق من أن البناء الحضاري السوي لأي مجتمع من المجتمعات، يجب أن يقوم على العناية بمختلف الجوانب الثقافية والاجتماعية والتربوية، مؤكدة بذلك تعدد الأبعاد للنموذج الحضاري السليم.

المجلس الأعلى للتربية والثقافة في الغرب

وإذا كانت الاستراتيجيات لا تعدو أن تكون لافتة مضينة، ومبادئ عامة موجهة وإشارات مختصرة، فإنها لن تحقق أهدافها إلا بخطط وبرامج مترجمة لحقائقها، وبتطبيق العاملين بها في حياتهم العملية. ولذلك عمدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إلى تأسيس المجلس الأعلى للتربية والثقافة في الغرب في عام ٢٠٠١. ويعقد المجلس دوراته سنوياً في إحدى العواصم الغربية، ويعمل المجلس تحت إشراف المنظمة الإسلامية.

ويسعى المجلس الأعلى للتربية والثقافة في الغرب^(١) الذي

(١) عقد المجلس الأعلى للتربية والثقافة في الغرب، خمسة اجتماعات حتى الآن (يناير ٢٠٠٥ م)، الأول في باريس (مايو ٢٠٠١ م)، والثاني في غرناطة (يوليو ٢٠٠١ م)، والثالث في ميلانو (يونيو ٢٠٠٢ م)، والرابع في كراتز-النمسا (يونيو ٢٠٠٣ م)، والخامس في مدريد (يوليو ٢٠٠٤ م).

تأسس في إطار استراتيجية العمل الإسلامي الثقافي في الغرب،
إلى تحقيق الأهداف التالية :

. متابعة تنفيذ استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في
الغرب بالتنسيق مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم
والثقافة.

. التنسيق بين الجمعيات والمراكز الثقافية الإسلامية في
الغرب لتقريب الرؤى فيما بينها وتوحيد مناهج عملها في
المجالات التربوية والثقافية والاجتماعية والإعلامية والدعوية.
. العمل على ترسيخ مبدأ التعدد الثقافي ونبذ أشكال الميز
العنصري والعرقي والعنف والتطرف كافة.

. نشر ثقافة الاعتدال والوسطية والتزام الموضوعية في
معالجة قضايا المسلمين في الغرب وإبراز الصورة الصحيحة عن
الإسلام والمسلمين.

. رصد الاحتياجات التربوية والثقافية للمسلمين في
الغرب لاعتمادها في وضع المخططات وبرامج العمل المستجيبة
لهذه الاحتياجات.

. الانفتاح على مكونات المجتمع الغربي في مستوياتها

الرسمية والشعبية والإعلامية، وربط علاقات التعاون معها بما يخدم مصالح المسلمين في الغرب ويُعزّل إسهامهم في بناء المجتمعات الغربية التي ينتمون إليها ويدعم الحوار والتفاعل بين الحضارات والثقافات والديانات.

ويمكن القول إن استراتيجية العمل الإسلامي الثقافي في الغرب، باعتبارها وثيقة إسلامية دولية مصادق عليها من طرف مؤتمر القمة الإسلامي، تمثّل إطاراً ملائماً للعمل من أجل تحقيق هدفين رئيسيين :

أولهما : تقديم الدعم الأدبي للمسلمين في الغرب، سواء كانوا من الجاليات الوافدة من دول العالم الإسلامي، أم من الأقليات التي تنتمي إلى الدول الغربية أصلاً. وتُعدُّ هنا أوجه الدعم، ولكن أهم أنواع هذا الدعم هو المساعدة في إنشاء قواعد للتعليم تتلاءم مع الظروف المحلية في كل دولة، سعياً وراء الحفاظ على الخصوصيات الثقافية وثوابت الهوية الحضارية للمجتمعات الإسلامية.

ثانيهما : تقوية أواصر الارتباط والتقارب بين عناصر الأمة الإسلامية من كل الأجناس والقوميات تقوية لوشائج

الوحدة الثقافية للعالم الإسلامي، وتعزيزاً لأسس التضامن الإسلامي، وحرصاً على ربط اهتمامات المسلمين في الغرب بالواقع في بلدانهم الأصلية، وإتاحة الفرصة لهم للإسهام في خدمة أغراض التنمية في العالم الإسلامي بخبراتهم التي اكتسبوها في الغرب.

وتعزيزاً لهذه الجهود المتواصلة التي تقوم بها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في مجال تطبيق استراتيجية العمل الإسلامي الثقافي في الغرب، فإنها تعقد اجتماعات سنوية لرؤساء المراكز الثقافية والجمعيات الإسلامية في الغرب، على مستويات ثلاثة: المراكز الثقافية والجمعيات الإسلامية العاملة في كل من أوروبا، وأمريكا اللاتينية، وآسيا. ولكل هذه المناطق منسق قاري يعمل تحت إشراف المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة التي تتابع تنفيذ التوصيات التي تصدر عن هذه الاجتماعات السنوية.

ولقد فتح إنشاء المجلس الأعلى للتربية والثقافة في الغرب وعقد سلسلة الاجتماعات لرؤساء المراكز الثقافية

والجمعيات الإسلامية في المناطق الجغرافية الثلاث، المجال واسعاً أمام المسلمين في الغرب (وفي الشرق أيضاً، اليابان والفلبين وكوريا الجنوبية وسنغفورة، وغيرها من الدول غير الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي) للعمل الجدّي المنظم والمدرّس للحفاظ على خصوصياتهم الثقافية، ولتوفير فرص تعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية للأجيال الجديدة من أبنائهم وبناتهم، ولربط الصلات بالعالم الإسلامي الذين هم جزء لا يتجزأ منه.

ولقد تعدّدت قنوات الترابط والتعاون بين المسلمين في الغرب، فنشأت شبكة من الجمعيات والاتحادات والروابط والمؤسسات التي تعمل من أجل تعزيز التعاون والدفاع عن المصالح المشتركة للمجتمعات الإسلامية في الغرب. وقد تأسس أخيراً المؤتمر الإسلامي الأوروبي الذي يضم القيادات الإسلامية العاملة في إطار المراكز الثقافية والاتحادات والجمعيات الإسلامية في الدول الأوروبية. كما أنشئت خلال العقد الأخير مؤسسات تعليمية إسلامية في أوروبا والولايات

المتحدة الأمريكية على مستوى راق. ومعظم هذه المؤسسات أنشئت بمبادرة من المسلمين من ذوي الأصول الغربية، هذا فضلا عن المؤسسات التعليمية التي أنشأتها بعض الدول الإسلامية في عديد من العواصم الغربية.

مسلمو الغرب

بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١

لا أحد ينكر أن الأحداث الإجرامية الإرهابية التي وقعت في الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، قد هزت الضمير العالمي هذا عنيفا، وشقت خطأ وهميا يفصل بين العالم الإسلامي والغرب، مما ترقب عليه تضيق الخناق على المجتمعات الإسلامية في كل مكان، وبصورة خاصة في الغرب؛ وضرب نطاق من الحصار الإعلامي والفكري على العالم الإسلامي، والنزج به في دائرة الصراع المفتعل بغية التأثير على مقدراته وإضعاف إمكاناته وربطه بالسياسة الاستعمارية الجديدة التي تنتحل الأعدار لتعيد عجلة التاريخ إلى الوراء، ببسط النفوذ الغربي الاقتصادي والسياسي والثقافي على البلدان الإسلامية. ولقد نال المسلمون في الغرب قسطا وافرا من هذه الحرب الإعلامية العدائية الموجهة إلى الإسلام عقيدة وثقافة وحضارة وتاريخا وأمة؛ فهم المستهدفون في المقام الأول، وهم الذين

يعانون أشد المعاناة من جراء هذه المواقف العدائية التي تتخذها بعض الأطراف في الغرب إزاء المسلمين كافة، وهم إلى جانب ذلك، يقاسون ويكابدون في صمودهم في مواقعهم متشبثين بدينهم وهويتهم، ويحرصون على ممارسة حياتهم في مواقعهم ساعين إلى تطوير قدراتهم وتحسين أوضاعهم وإثبات كفاءتهم في العمل والإنتاج وفي الإبداع والتفوق في حقول اختصاصاتهم. ولذلك فإن العبء الأكبر في المعاناة من المشاكل التي ترتبت على المواقف التي اتخذتها بعض الدول الغربية وقطاعات واسعة من وسائل الإعلام ودوائر البحوث والدراسات إزاء العالم الإسلامي، يقع على المسلمين في الغرب، باعتبارهم الواجهة الأولى التي تتلقى الضربات وتتعرض للمضايقات.

وإمام هذا الوضع غير المستقر الذي يعيشه المسلمون في الغرب، على اختلاف مستوياتهم وتعدد انتماءاتهم، تتضاعف مسؤوليات العالم الإسلامي قاطبة، ليس للوقوف إلى جانب المجتمعات الإسلامية في الغرب ومساندتها وشد أزرها فحسب، وإنما من أجل قطع الطريق على قيام الحجج التي تستغلها الأطراف المغرضة لضرب الإسلام والتحريض على النيل من المسلمين، وذلك بالمضي قدماً في طريق الإصلاح الشامل

لجميع مرافق الحياة في البلدان الإسلامية، سياسيا ودستوريا، اقتصاديا واجتماعيا، فكريا وثقافيا، تعليميا وتربويا، علميا وتقانيا .

إن ثمة تأثيرا متبادلا بين مسلمي الغرب وبين إخوانهم في البلدان الإسلامية كافة؛ فكلما تحسنت الأوضاع في العالم الإسلامي، واستقرت الأحوال، وتحقق قدر مناسب من التقدم الاقتصادي والتطور الاجتماعي في ظل الاستقرار السياسي، انعكس ذلك التحول بالقدر نفسه، على الأوضاع التي يعيشها مسلمو الغرب، لأنهم يجدون في ذلك تقوية لموقفهم الذي يلتزمون له للدفاع عن خصوصياتهم الثقافية وحقوقهم ومصالحهم، وبعثا للثقة في أنفسهم. وتحسينا لصورة الإسلام والمسلمين التي ينقلونها إلى المجتمعات التي يعيشون فيها وافدين مندمجين، أو أصلاء مستقرين.

ومهما يكن مستوى الجهود التي يبذلها مسلمو الغرب للدفاع عن شخصيتهم وللحفاظ على خصوصياتهم الثقافية والحضارية ولتصحيح الأخطاء ودحض الافتراءات والشبهات والأباطيل التي تروجها الأطراف الغربية التي تصف مواقف معادية للإسلام، فإن هذه الجهود لن تجدي فتيلًا، ما لم تصلح أوضاع العالم الإسلامي وتستقيم وتحسن، وما دام المسلمون

انفسهم لا يصححون صورة الإسلام في ذواتهم أولاً، ثم في أعمالهم وممارساتهم وسياساتهم، لأن تصحيح صورة الإسلام في الغرب تبدأ بتصحيح صورة الإسلام في موطنه، وذلك من خلال الإصلاح الشامل القائم على أسس علمية، والمحكوم بالضوابط الشرعية، والمنفتح على آفاق العصر.

وما دام أن مستقبل الإسلام في الغرب لا ينفصل عن مستقبل الإسلام في العالم الإسلامي؛ لأن هؤلاء المسلمين هم جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية ومن العالم الإسلامي، يتأثرون سلباً وإيجاباً بما يجري في البلدان الإسلامية، على نحو من الأنحاء، فإن المستوى الرفيع من التطور الذي بلغوه في حياتهم بالقياس إلى الواقع المعيش في بلدانهم الأصلية بالنسبة للوافدين منهم من دول العالم الإسلامي، يحملنا على التفاؤل بأن ازدهار الحضارة الإسلامية سيتعزز بجهود مسلمي الغرب، وبأن فجر المستقبل المزدهر للإسلام والمسلمين سيبزغ في الغرب، بمشيئة الله تعالى.